Al-Iraqia Australian newspaper

Issued from Sydney and distributed all the world

العِراقيَّة الأستراليَّة

جريدة ثقافيَّة فنيَّة مستقلَّة

Established 05 Oct 2005 Sydney

تأسَّسَتْ في 05 إكتوبر 2005 سيدني

Dr. MUWAFAQ SAWA

Editor in Chief

رئيس التحرير : د. موفق ساوا // نائب الرئيس : هيفاء متي

تصدر يوم الأربعاء في سيدني، وتوزع إلى جميع أنحاء العالم

Wednesday, 27 July 2022 Issue No. 829 Year : 17

aliraqianewspaper@gmail.com Mob: 0431 363 060 - 0423 030 508

اقرأ "العراقية الأسترالية" الصادرة يوم الأربعاء، بموقع ألواح سومرية معاصرة على الرابط :

http://www.somerian-slates.com/2020/01/01/11096/

شركة صفاء النسيم للأستثمار العقاري

مستعدون لشراء الدور

والبنايات في العراق وبأحسن الأسعار

للاتصال من داخل استراليا :

0401 317 119

الشركة مجازة قانونيًا

تتحمل كافة الضرائب والمصاريف

تستلم المبالغ عن طريق المصارف

لا يحتاج البائع السفر الى العراق بتاتًا

ويمكنه إستلام المبالغ في أي مكان قبل البدء بالمعاملة

من داخل أميركا 586-222-9659

من خارج أميركا 001-586-222-9659

E-mail: naseemnabeel@yahoo.com

بإدارة نسيم يلدو

Dr. ALAA ALAWADI

- علاج روحاني لجميع أنواع السحر والمس الشيطاني.
- إستشارات روحانية و نفسية
- تفسير الأحلام
- علاج بالتنويم المغناطيسي

دكتور علاء العوادي

دكتوراه في علم النفس و الباراسيكولوجي

عضو في العديد من الجمعيات الروحاني و الفلكيَّة

6 Stead place casula

Mob : 0400 449 000

alaa.alawadi@gmail.com

www.sawakitv.com.au

Concreting & Landscaping

* Commercial / Residential
* Excavation and dirt removal
* Full qualified and licensed
* Garden design
* Natural grass
* Artificial grass

0431 040 909

Free Quote

AJJ BUILDING SERVICES

Concreting & Landscaping

* Commercial / Residential
* Excavation and dirt removal
* Full qualified and licensed
* Retaining walls
* Garden design
* Natural grass
* Artificial grass
* Fencing

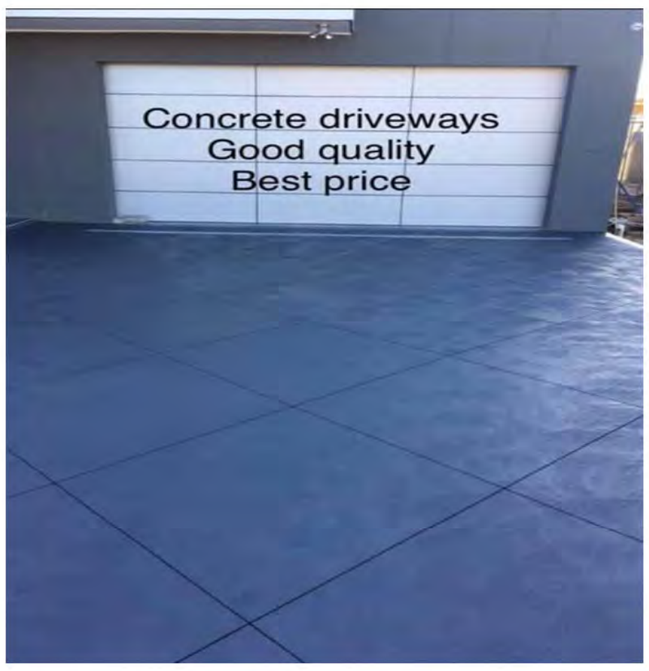

0431 040 909

Free Quote

Put your Ad here

Al-Iraqia Australian - Cultural and artistic
العراقية الاسترالية

إعلن هنا

تعتبر الدعاية
في جريدة العراقية الاسترالية، ألضمان الوحيد والأكيد لإنجاح مشروعك التجاري وهي من أهم الوسائل الإعلامية في جميع أنحاء العالم، للتعريف بمشروعك التجاري، ومن خلالها يمكنك ايصال مشروعك لعدد كبير من القراء في انحاء العالم بالاضافة الى استراليا .... اتصلوا بنا الآن:

Call : +61 423 030 508 ///// +61431 363 060
aliraqianewspaper@gmail.com

DIAMOND'S ROSE FOR CARE
DIAMOND'S ROSE FOR CARE
diamondsroseforcare@com.au
diamondsroseforcare@gmail.com

للراغبين الإتصال بأخيكم مهند سليم
0452 225 893, 0405 050 906

أنتم ضمن أولوياتنا

موظفونا مؤهلون ولديهم خبرة جيدة

نهدف لدعمكم

خدماتنا

المساعدة في توفير السكن والإيجار
توفير منتجات لدعم العناية الشخصية
تنسيق الدعم
مساعدة الأنشطة الشخصية
مساعدة السفر والنقل
الادارة المالية للخطة
توفير الأنشطة الجماعية

I ndis
REGISTERED NDIS PROVIDER

المساعدة في ايجاد فرص العمل والحفاظ عليه
الرعاية التمريضية المحليه لذوي الاحتياجات العالية
المساعدة في المهام اليومية
المشاركة في النشاطات المجتمعية
تطوير الحياة اليومية والمهارات الحياتية
المساعدة في المهام المنزلية
توفير المنتجات المساعدة للمهام المنزلية

الإقتصاد والأمن المائي في مؤتمر جدّة للأمن والتنمية

كان الإقتصادُ حاضِراً في "مؤتمر الأمن والتنمية" في جدّة.
نصّ على ذلك "البيان الختامي" للمؤتمر في فقرات كان من بينها* :

- التأكيد على أهمية تحقيق أمن الطاقة، واستقرار أسواق الطاقة، مع العمل على تعزيز الاستثمار في التقنيات والمشاريع التي تهدف إلى خفض الانبعاثات وإزالة الكربون بما يتوافق مع الالتزامات الوطنية.
- نوّهَ المؤتمر بجهود (أوبك +الهادفة إلى استقرار أسواق النفط بما يخدم مصالح المستهلكين والمنتجين ويدعم النمو الاقتصادي).

-تجديد العزم على تطوير التعاون والتكامل الإقليمي والمشاريع المشتركة بين دولهم بما يسهم في تحقيق التنمية المستدامة، والتصدي الجماعي لتحديات المناخ من خلال تسريع الطموحات البيئية، ودعم الابتكار والشراكات.

- الإشادة في هذا الإطار باتفاقيات الربط الكهربائي بين المملكة العربية السعودية والعراق، وبين مجلس التعاون لدول الخليج العربية والعراق، وبين المملكة العربية السعودية وكل من الأردن ومصر، والربط الكهربائي بين مصر والأردن والعراق.

- بالنسبة لسد النهضة الأثيوبي، عبر القادة عن دعمهم للأمن المائي المصري، ولحل دبلوماسي يحقق مصالح جميع الأطراف ويسهم في سلام وازدهار المنطقة. وأكد المؤتمرعلى ضرورة التوصل لاتفاق بشأن ملء وتشغيل السد في أجل زمني معقول كما نص عليه البيان الرئاسي لرئيس مجلس الأمن الصادر في 15 سبتمبر 2021، ووفقاً للقانون الدولي.
ولكنّ "البيان الختامي" لهذا المؤتمر، أغفلَ الإشارة (بقدر تعلّق الأمر بالإقتصاد والأمن) إلى ضمان حقّ العراق في أمنه المائي!!
هناك فقرة في "البيان الختامي" للمؤتمر، تؤكّدُ على حقّ مصر في ذلك.. ولكنّ البيان الختامي للمؤتمر، أغفلَ حقّ العراق في ذلك.

لقد كان "السيسي" هناك، كما كان "الكاظميّ"هناك.
وفي مواجهة مصر، هناك أثيوبيا والسودان.. وفي مواجهة العراق هناك تركيا وإيران وسوريا.

لماذا يُشكّلُ "تقاسم"مياه نهر النيل (بعدالة) تهديداً لأمن الشرق الأوسط و "المنطقة"، ولا تشكّلُ مياه نهريّ دجلة والفرات التهديدَ ذاته؟

قد يقول البعض أنّ هذا هو تأثير "السيسي" المُطلَق اليد، و "الحُرُّ" في قراره، بينما لايدخلُ ذلكَ في صلب اهتمامات "الكاظمي" (المحاصَرُ بالمُحدّدات والإشتراطات، ونطاق صلاحيات تصريف الأعمال، وضغوط نظريّات المؤامرة).. وكلٌّ منهما سيعكس (بل وسيفرِضُ) على الآخرين (بالضرورة)، تأثيراتَ حجمه، ودورهُ، و"هيبته."

لا اعتقدُ أنّ ذلك صحيح.. أو دقيق.
فالحكومة العراقية ربّما تعتقِد أنّ طرح هذه"القضيّة" في مؤتمرٍ كهذا، قد يُدخِلُ "المشكلةَ" في باب "التدويل".. والحكومة العراقيّة لا تريدُ "تدويلاً" للمشكلة، بل تُريدُ حلولاً "ثنائيّةً" لها.
ولكنّ الإشكاليّة هنا، هو أنّ لا حلّ "ثنائي" لهذه"الأزمة" يلوحُ في الأفق الآن.. لأن الأزمة، وتداعياتها المأساويّة على الشعوب والأنظمة، تتفاقم، والجميع يقولون أنّنا عطاشى، والجميعُ يُعانون من جفاف الأنهر والبحيرات، والجميعُ يتّهِمُ الجميع بـ"الهدرِ " وسوء الإستخدام.. والجميع عُرضةً للنتائج الكارثية للإحتباس الحراري.
لا حلول ثنائيّة - تفاوضية لهذه المشكلة "المُميتة".. لأنّ العراق هو الطرف الأضعفَ في هذه المعادلة.
إذهبوا إلى"التدويل."
إذهبوا إلى "التدويل"، لإنقاذِ ما تبقى لكم، من"حُصص" الماءِ والكلأ.

.....
*لمزيدٍ من التفاصيل حول مقررات المؤتمر، أنظر ما وردَ في الرابط ادناه:
https://www.ina.iq/160908--.html

*****

سعرُ صرفِ أرواحنا

عندما كُنّا فِتيةً.. كانَ الدينار يعادلُ ثلاثة دولارات.
وعندما أصبحنا رجالاً.. كان الدينارُ لاشيء.. والدولارُ كلَّ شيء.
وعندما بلغنا من العمرِ أرذَلَه.. أصبحَ الدولارُ يعادلُ كلَّ حكمتنا.
وفي تشرين 2019 قتلت "الأشباحُ" 800 "عراقيّاً"، تظاهروا باحثينَ عن "عراقٍ" يلُمَّهُم من التَيهِ والقهرِ والشتات.. بينما كان الدولارُ يعادلُ 1200 ديناراً "عراقيّا" أيضاً.
وعندما خَلَت "الساحاتُ" من "العراقيّين"، إنخفضَ"سعرُ" الدينارِ، ليصبحَ" سعرُ" الدولار الواحد مُعادِلاً لـ 1500 ديناراً "عراقيّاً"، يبحثُ كُلُّ دينارٍ"عراقيٍّ" منها، عن "عراقيّينَ-عراقيّينَ "حقّاً، في هذا "العراق" المُلتَبِس.. فلا يجِدُ غيرَ قِلّة منهم.
يبدو أنهُ بمرور الوقت.. ينخفضُ كثيراً "سعرُ صرفِ" أرواحنا..
و "عقولنا" أيضاً.

*****

صباح الاربعاء
مـــــع

أ.د.عماد عبد الطيف/ العراق

غسيلُ الأموالِ والأنفُسِ والوجوهِ المُريبة
Money and faces laundering

في الاقتصاد، كما في القانون، فإنّ عملية غسيل الأموال Money laundering هي جريمة اقتصادية تهدف إلى منح الأموال مجهولة ومشبوهة المصدر "شرعيّة قانونيّة"، وذلك من أجل امتلاكها، أو التصرّف بها، أو إيداعها، أو استبدالها، أو نقلها، أو التلاعب في قيمتها، لأنّها عائدات من أنشطة غير مشروعة.. كإنتاج وتسويق المخدرات، و"الفدية" المدفوعة مقابل اختطاف الرهائن، وسرقة موجودات ثمينة يصعب بيعها (كالمجوهرات النادرة، واللوحات الفنية والقطع الأثريّة..)، والإرهاب، والاختلاس، وأتاوات المافيات (المُستقرّة والجوّالة على حدٍّ سواء)، وعمولات وصفقات و"مُقاولات" الفاسدين (بمختلف درجاتهم ومراتبهم، ومناصبهم)، و"ريوع" ومكاسب التخادم "السياسي- الزبائني"، وأتعاب "الخيانات" الصغرى والكبرى.. وغيرها كثير.

ويمُرّ غسيل الأموال بمراحل ثلاث هي أوّلاً - مرحلة الإيداع: و تُعرف أيضاً بمرحلة "التوظيف" أو الإحلال، ويتمّ بها التخلص من كميات كبيرة من النقود القذرة بعدّة طرق (يمكن الاطلاع عليها في الكتابات ذات الصلة بهذا الموضوع)، بهدف تسهيل عملية اعادة بيعها (أو تسويقها) لاحقاً.
ثانياً - مرحلة التمويه: و يُطلق على هذه المرحلة أيضاً إسم مرحلة "التعتيم"، أو التجميع.. و تبدأ عندما تدخل الأموال الى قنوات النظام المصرفي الشرعيّ، فيقوم "غاسِل" الأموال بفصل (وعزل) الأموال التي يُريد غسلها عن مصدرها غير الشرعي.
ثالثاً - مرحلة الإدماج : و هي آخر مراحل عملية غسيل الأموال.. وتتمثل في منح هذه الأموال الطابع الشرعي، لذا تُعرف باسم مرحلة "التجفيف".. وهنا "تُدمَج" الأموال المغسولة مع النظام المصرفي والدورة الاقتصادية، فتظهر على أنّها عوائد طبيعيّة لصفقات تجارية معروفة واعتياديّة.
في السياسة.. كما في الاقتصاد.. كما في "نظامنا" السياسي المُلتَبِس..
يحدثُ الأمر ذاته.
حيث تتمُّ عملية غسيل الوجوه الكالحةِ - القذِرة Faces laundering على ثلاث مراحل، هي: الإيداع، والتمويه، والإدماج (داخل الكيان السياسي – المجتمعي).. مع كُل ما تتضمنهُ هذه المراحل من توظيف و إحلال و تعتيم و عزل و تجفيف، لكي تكون هذه الوجوه صالحةً للتسويق والتداول، ليس بيننا، وداخل كياننا المجتمعي فحسب، بل وحتّى على المستوى الخارجي - الدولي.
بعدها تُستكْمَلُ عملية "تبييضها "، من خلال ضخّ كمٍّ هائلٍ من الأوهام، والتنظير، والتدليس، والأكاذيب الصفيقة.

ومن ثمّ تأتي المرحلةُ الأخيرةُ في تأسيس منظومات الخراب الشامل والتامّ.. حيثُ يتمُّ تسويق هذه الوجوه، وترسيخها، وتمكينها من التحكّمِ في إسلوب حياة و تفكير و"وعي" الشعوب الضعيفةِ المُتعَبَة، والمُثقَلَة بـ "النوايا" الطيّبة، واليأسِ العميق، والقهرِ المُستدام، و"المُعبَّأة" بالآمال و"الأمنيات" العظيمة أيضاً.. وإعادة برمجة ذاكرتها، وبناء سرديّاتها.. وبما يجعلُ هذه "الوجوهَ" بمثابة منظومات تدمير بقوّة دفع "ذاتية" للبُنية المجتمعيّة،وبما يُمكّنُها من أداء المهام الموكلةِ إليها، وتعزيز قدراتها على البقاء والحُكم.. لأطولِ مُدّةٍ ممكنة.

أيّتُها الأنتِ..!
(المتحوّلةُ)

ما إنْ أذكرُ نسمةً منكِ
تسقيني حكايا الماء
وتغمسُ مع رغيفي ملحَ مرآةٍ
تعكسُ
وجوهَ حورياتٍ تبحثُ عن ساحلٍ
في ورقةِ خربشاتٍ تدّعي الشعر،
أتذكرُ فأغرقُ في بحرٍ من ذكرى
سُفنُهُ أيائلٌ لا تصيخُ السمعَ
لصيّادٍ بخطى لص، تنتابُني مع دوار البحرِ
شهوتان..
واحدةٌ جذرُها سومري، تبحثُ
عن عُشبةِ الكتابةِ
وأخرى تتعطّرُ بشهوةِ الهروب
مع ميثولوجيا يونانية،
أيُتها الأنتِ..
ما أحوجُني الى اليابسِ
فروياتُ العبثِ (الكاموي)
جرّدَتْني من رائحة الطين،
أنا ابن بابل
شهقت حضارتها في طين (حمورابي)
وأفاضت في عشق محضيات (شارع الموكب)
أيتُها الأنتِ..!
هل تُراني أتحوّلُ بين موجةٍ وموجة
تتلبسُني حضاراتٌ
وموسيقى شعر،
أرتقي منصّةَ (أنخيدوانا)
كأنها أنتِ..!
أو كأنكِ هي..؟
كأنكِ المتحوّلةُ من (أنخيدوانا) الى
الخنساء،
ثمّ الى (ولاّدة)..
حتى (نازك الملائكة)...؟!!

قصيدة "العمارة"

للشاعر
عيسى حسن الياسري

(1)
أيتها الذهبية مثل القمح
الخضراء كحقول الرز
والهادئة كنهر هادئ
لقد دهمتك الشيخوخة ..وهرمت سريعا

(2)
قراك القصبية تنقرض كسلالات نادرة
ورائحة القهوة ما عادت تنبعث من أثوابك

(3)
اثنان فجعت بهما
أنت .... وشيء يقال له الشعر
لقد حسبتكما رسولين يريدان خلاصي

(4)
ماذا لو قلت لأطفالك
أن يقفوا عند جميع الأبواب عدا باب
الحلم....؟

(5)
لن ينقذني أحد
وها أنذا آهرب ..وأعود ..وأهرب ثانية

(6)

في اليوم ..ألعنك ..وأبكيك أكثر من مرة

(7)
لقد ذهب عنك السحر
كنت ألاحقك عبر حقول الحنطة
وأطوق خصرك بذراعيَّ الطفلين
كان طريا ..ونحيلا خصرك

(8)
الصبيَّة ذات التاج العشبي
والقدمين المنتعلين بأزهار الحقل
لا أثر لعبقها

(9)
المعشوقات يخلّفن شقوقا في هذا الجانب ..
أو ذاك من القلب
أما أنتِ .. فزحفت عليه زحف الكثبان ..الرملية
فوق غدير الماء

(10)
قلتْ ..سأظل بعيدا
لا أطأ أرضكِ
لا أتطلع للغيم الراكض نحوك

(11)
طويلا سأفتقد منعرجات دروب مراعيك

(12)
كلانا خسر رائحته
أنت تلتهمين قراك
ونحن نفتت لهجتنا

(13)
أيتها الطيبة إلى حد البله
لماذا حبّبت إليّ جنوبك..
ذا الأهداب المبتلة أبداً
والعينين الخجلتين

(14)
كل طيورك حطت فوق الأرض
عدا طائر قلبي

(15)
حتى الآن أنتظر ما لا يأتي :
أسراب " البط "
مواسم حرث الحقل
فيضان النهر ....وعرس القرية

(16)
ماذا لو كانت عيناك تريان إلى الأبعد.
بعض الشيء
إذن لاحتطت لعصري

(17)
المقيمون قريبا منك هم السعداء
كل صباح ينهالون عليك بشتائمهم

(18)
يا امرأة شعثاء الشعر
يا أرضا خربة لا يبرحها المطر الملحي
ولا زبد طوفان الأتربة الخانق

(19)
يا سفنا تستبدل حمولتها من الرز ..
بنواح هواء الليل
يا أما ثكلى
كل صباح تفقد نهرا
ومزيدا من أيام طفولتها

عِناقُ السّنابُل

نوئيل جميل
نينوى -العراق

بهذا البدن المرهق
كنتُ أنهض فجراً
لألتحق بأسراب السنونو
وهي تغادر أعشاشها
من أشجار بلدتي العتيقة
أحدّقُ بالرائحين
نحو مدن الأدغال
أهرول مابين ثكنات الدرك
وأقتنص النبوءات
وأستنجد بأحلام الثورات
أوهموني بها !
وأنا أقتفي ظلّي
وراء الصنوبرة العنيدة
مرّت قافلتي
تصارع الريح والغبار
وأنا أمتطي رائحة
الشطئان

تكوّرت حدقات عيني
حين رجّتني كدمات
ذلك النهار
قدماي تحبو
على تراب نبتت فيه
قامات الصُبّير
والنايات الحزينة
تعلكُ سنابلَ الحصاد
فأشرَقتْ على أرضي
ولاداتٌ
زيّنت تخوم الوطن
غمرتني المنايا
حملتها على بدني المرهق
تجاعيدٌ وعِراك
مع هذا عانقت ظلّي
وأنا أبتسم.
****

رسالتا ماجستير جديدتان عن أديب كمال الدين

مع ترجمة لمجموعتيه: (مواقف الألف) و(الحرف والغراب)

سيدني، خاص "العراقية الأسترالية"

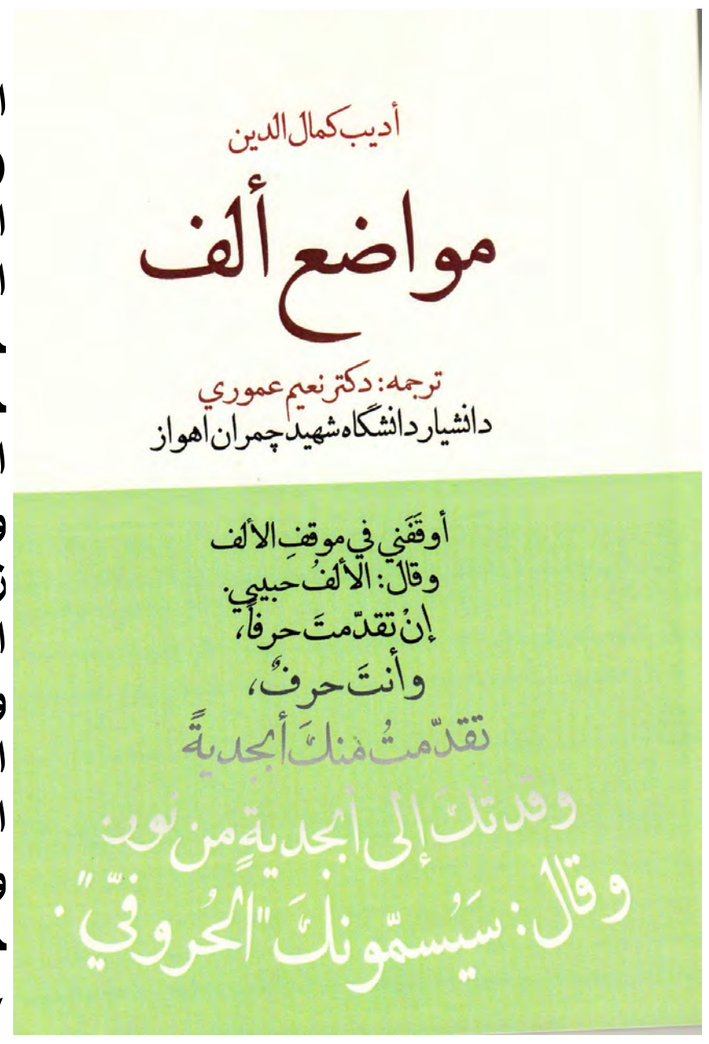

نالت الطالبة مروى زكري شهادة الماجستير بتقدير جيد جدا عن رسالتها (جماليات التناص في ديوان رقصة الحرف الأخيرة لأديب كمال الدين). تمت المناقشة في كلية الأداب- جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر بتأريخ 27 حزيران 2022 ، وقد أشرف على الرسالة د. عبد الرزاق بن دحمان.

وفي 24 آيار 2022 نالت الطالبة لارا زيدان القيسي شهادة الماجستير بتقدير امتياز عن رسالتها (التراكيب النحوية ودلالتها الأسلوبية في أشعار أديب كمال الدين، المجلد الأول، الأعمال الشعرية الكاملة). تمت المناقشة في كلية اللغات والدراسات الثقافية/ قسم اللغة العربية/ جامعة الاديان والمذاهب، وقد اشرف على الرسالة أ. د. ميثم ايمانيان وأ. د. حسن رحماني.

حسن رحماني.

الجدير بالذكر أنّ الكثير من رسائل الدكتوراه والماجستير قد نُوقشت عن تجربة أديب كمال الدين الحروفيّة الصوفيّة في جامعات العراق، وتونس، والمغرب، وإيران، والجزائر، والهند.

أما على صعيد الترجمة، فقد صدرت، حديثاً عن منشورات قهوة- الأهواز، ترجمة لمجموعتيه: (مواقف الألف) و(الحرف والغراب) باللغة الفارسية. قام بعملية الترجمة الأكاديمي والمترجم الدكتور نعيم عموري الذي سبق له وأن أشرف على أكثر من رسالة ماجستير تناولت تجربة هذا الشاعر، وكتب ونشر عدداً من البحوث الأكاديمية عنه، نذكر منها: (موتيف شخصية نوح "ع" في شعر أديب كمال الدين)، و(موتيف "الموت والحياة" في شعر أديب كمال الدين)، و(التناص القرآني في أشعار أديب كمال الدين). وقد سبق أن تُرجمت من قبل الكثير من مجاميع الشاعر أديب كمال الدين إلى الإنكليزية، والفرنسية، والإيطالية، والأوردية، والإسبانية.

و تسألن

اعتماد الفراتي/ العراق

أعلى..
أوتار الوجع
-مقام الشوق- تعزفين؟
أتذكرينني؟
وأنتِ هنا..
في زوايا الروح ترفلين
بصورتي
وضكتي
وحديث عيوني..
الذي تحبين
أجيبي :

-قلتُ مهلاً
ما نسيت..
أُحبك
و لازلتُ أصغي
لألحُن..
قيثارتكَ والحنين
لأنكَ (القاف)..
في كل قلق عشقته،
و (اللام) في ..
كل ليل سهدته،
و (الباء)في كل بقاء
لكَ في ..
بؤبؤ المقل
و بعد ذلك تسأل!!
أتذكرين أم أنتِ
للنسيان أميل؟

قلتُ :
يا قمراً..
اضاء عتمتي
كفاكَ..
أبربك تسأل !؟
و أنا التي ..
كل ثانية بحبك أُقتل
أراكَ قد بالغتَ
في التدلل والملل
أنتَ الـ
وحيد ملئ روحي
وكل من حولك رحل
أترتابُ!!؟
وأنتَ ترتيلُ الشفاه
بأحر الـ
حروف والجمل
ما كان لـ ..
هذا الفؤاد
أن يُزهر او يضيء
إلا ..ببرقك ومضاً
بالقصيد.. بأحلى زجل

و بمحراب قلبي
ناديتُ طيفكَ
وقصدتُ ..
باب ليلك
أطرقه..
بشغف جلل
ليشع نهاري بالـ
نضارة مترفاً
فقد ولى الدجى
ولاح فجر قربكَ
وبندى الـ
وصال تكلل

أوّاه..رحماكَ
لهذا الحد أهواك
أبعد كل هذا وذاك
لازلتَ..
تسأل !!

ناهدة الرماح

الأيقونة التي أعطت للمسرح عيونها

بقلم: عبد الحسين شعبان/ أكاديمي ومفكّر

مع الرفيق عزيز محمد

"الدنيا مسرح كبير"
وليم شكسبير

استهلال

رحلت الفنانة الكبيرة ناهدة الرمّاح (22 آذار/ مارس 2017) بعد رحيل الفنان الكبير **يوسف العاني** (10 أكتوبر/ تشرين الأول 2016) بخمسة أشهر وبضعة أيام. كنّا حينها في جلسة استذكار لها عائليًا ومع بعض الأصدقاء، حيث كان يصادف عيد ميلادي، واعتادت ناهدة الرمّاح على مدى يزيد عن ثلاثة عقود ونصف من الزمن أن تبادر للاتصال الهاتفي أو إرسال رسالة صوتية أو باقة ورد "ورقية" بالبريد، إذا لم يكم بإمكانها الحضور.

وأتذكّر أن مثل هذا الحضور البهي كان له أكثر من معنى وأعمق من دلالة في العام 2004، حين كانت والدتي **نجاة حمّود شعبان** قد وصلت إلى لندن قبل فترة وجيزة من هذا التاريخ، وكان هذا أول احتفال لها بمناسبة عزيزة عليها، وكم كانت المفاجأة كبيرة حين رنّ جرس باب المنزل وإذا بناهدة الرمّاح تمطرنا بسلسلة هلاهل عراقية بصوتها العالي، وحاولت والدتي أن تجاريها دون أن تعرف هويّة القادمة من تكون وقتها، لكنّها قدّرت أنها صديقة حميمة.

وقد أضفتْ تلك اللفتة الجميلة حرارة كبيرة على المناسبة، علمًا بأن ناهدة الرمّاح كانت تعرف ما تعرّضت له العائلة في بغداد طيلة عقدين ونيّف من الزمن، وانقطاع الصلة بيننا وما سبّبته من كدمات روحية وآلام نفسية، وكانت هي في فترة أواسط الثمانينيات صلة الوصل مع العائلة باعتبارها "معلمة" ابنة أختي سلمى (فرح)، وكانت تقوم بالاتصال بين فترة وأخرى من لندن لتبلغني حيث أكون بآخر الأخبار. اليوم أتذكر ذلك ويحزّ في نفسي توديع صديقة حميمة وعزيزة وفنانة رائدة رحلت ويمتلئ حلقها مرارة بسبب الجحود والزيف والتنكّر، وهي التي أوقفت حياتها كلّها للمسرح والجمال وحبّ الناس.

والدتي و"شربت إنكليز"

تعرّفت على ناهدة الرمّاح لأول مرّة في أواخر العام 1967 حين كنت ما أزال طالبًا في الصف المنتهي في جامعة بغداد، وكنت قد شاهدت لها عددًا من المسرحيات وكان آخرها مسرحية **"النخلة والجيران"** للروائي الكبير **غائب طعمة فرمان**، الذي سألته في العام 1973 حين كنّا نحضر **مهرجان توركي** (بريطانيا) لجمعية الطلبة العراقيين في المملكة المتحدة، أي الممثلات والممثلين عبّر عن روح نصّك وأقصد في مسرحيته العتيدة "النخلة والجيران"؟ فكان جوابه على الفور ودون تردّد أو لحظة انتظار: إنها الرائدة ناهدة الرمّاح التي شعرتُ أنها معجونة بالنص ومدافة في حروفه، وكلّ ما كانت تنطق به كان يعبّر عنّي وهو ما وضعته ضمن خيالي الروائي، وتمكّنت ناهدة من تجسيده فعليًا على خشبة المسرح.

وكانت والدتي عند كلّ زيارة لناهدة الرماح إلى منزلنا في لندن تطلب منها بإلحاح تمثيل مشهد **"شربت إنكليز"** وكانت تضيف " **رديفة زوجة حمّادي العربنجي"** كما تسمّي المقطع الخاص من مسرحية النخلة والجيران، ولم تكن ناهدة تتردّد بالاستجابة لطلبها، علمًا بأن والدتي عرفت لأول مرّة في لندن أن ناهدة الرمّاح ليست المعلمة الحقيقية لفرح كما زعمت وزعمنا، بل أننا استعنا بها وبهذه الصيغة كي لا يصاب الأهل بالذعر من حديث تلفوني من شخص يجهلونه، ومثّلت ناهدة الرمّاح هذا الدور أحسن تمثيل فتحدّثت عن اللغة العربية والرياضيات والدرجات الممتازة التي حصلت عليها فرح، واعتقدت والدتي حينها أنها فعلًا المعلّمة الحقيقية واطمأنت إلى التعاطي معها وإن ظلّت حذرة. وحين عرفت والدتي أن ناهدة الرمّاح هي من كان يقوم بدور معلمة فرح باتصالاتها من لندن ازداد حبّها لها، بل وتعلّقها بها، وكانت حين تأتي إلى منزلنا في لندن تبقى عدّة أيام وتستمتع الوالدة بوجودها، إضافة إلى حضور شقيقتي سلمى التي كانت قد تعرّفت عليها في الشام.

ناهدة الرماح وعبد الحسين شعبان

الريادة والطليعة

تعتبر ناهدة الرمّاح بحق إحدى أبرز رائدات المسرح العراقي الطليعي وقد انضمّت إلى فرقة المسرح الفني الحديث بعد **أزادوهي صموئيل**، وكانت خطواتها الاولى هي مشاركتها في تمثيل فيلم **"من المسؤول؟"** في العام 1956، الذي شاهدته مع عمي **ضياء** وعمي **شوقي شعبان** في العام 1957 في سينما بالصالحية. ولم يكن انتماؤها إلى الفرقة مجرد رغبة لديها في التمثيل، بل أدركت بوعيها الجنيني الأول ما للمسرح من تأثير كوسيلة للتعبير، خصوصًا لما تتمتّع به فرقة المسرح الفني الحديث من سمعة وتوجّه وريادة، وبرزت في دور المرأة الخرساء في مسرحية **"الرجل الذي تزوّج امرأة خرساء"** العام 1957، وهو العمل الأول الذي أخرجه **سامي عبد الحميد** وتمّ تمثيله في قاعة **"الملك فيصل"** التي سميّت لاحقًا **"قاعة الشعب"**.

زاملت ناهدة عددًا من الرواد الكبار مثل: **ابراهيم جلال** و**يوسف العاني** و**سامي عبد الحميد** و**قاسم محمد** و**خليل شوقي** و**زينب** و**مجيد العزاوي** وغيرهم. وتمتّعت بمرونة كبيرة في اختيار أدوارها، ولم تتوقّف عند لون واحد، بل حاولت أن تجرّب العديد من الأدوار ذات الأبعاد المركّبة، وهو ما منحها مكانة كبيرة على خريطة المسرح العراقي وحظيت بحب خاص في قلوب الجمهور.

وقد مثّلت عددًا من المسرحيات التي خلّدت اسمها مثل: مسرحية **"الرجل الذي صار كلبًا"** للكاتب الأرجنتيني **أزفالدو دراغون** Osvaldo Dragún والتي أخرجها قاسم محمد، ومسرحية **"بغداد الأزل بين الجد والهزل"** للمخرج قاسم محمد أيضًا، ومسرحية **"الخرابة"** ليوسف العاني وأخرجها قاسم محمد وسامي عبد الحميد، ومسرحية **"النخلة والجيران"** للروائي غائب طعمة فرمان وإخراج قاسم محمد، ومسرحية **"الشريعة"** ليوسف العاني وإخراج قاسم محمد، ومسرحية **"نفوس"** (لمكسيم غوركي) إعداد وإخراج قاسم محمد، ومسرحية **"القربان"** للروائي غائب طعمة فرمان من إعداد ياسين النصير وإخراج فاروق فياض.

ومثّلت كذلك مع فرقة المسرح الفني الحديث "أني أمك يا شاكر.." و"الخال فانيا" للروائي تشيخوف وإخراج عبد الواحد طه و"مسألة شرف" تأليف وإخراج عبد الجبار ولي. ومن أفلامها : **من المسؤول؟ وسعيد أفندي** 1957 و**الظامئون** 1973 (مقتبسة من رواية عبد الرزاق المطلبي وإخراج محمد شكري جميل) **ويوم آخر** 1974.

وعلى الرغم من الخبرة الكبيرة التي اكتسبتها ناهدة الرمّاح من عملها المسرحي والجرأة الأدبية والقدرة على مواجهة الجمهور والبداهة التي تمتاز بها، فضلًا عن الحيوية والحضور الآسر، إلّا أنها كما أخبرتني كان يتملّكها نوعاً من الخوف أقرب إلى الرهبة في مقابلة الجمهور، وقالت أنها تشعر وكأنها تواجه الجمهور لأوّل مرّة حتى تكاد ترتجف، وهو ما أصابها عند أوّل مواجهة للجمهور. وبالطبع فذلك شعور بالمسؤولية من جانبها واحترامًا لجمهورها ولنفسها أيضًا، خصوصًا وقد توثّقت تلك العلاقة الحميمة بينها وبين جمهورها.

ولا غرابة في ذلك حتى وإن كانت نجمةً لامعةً يشار إليها بالبنان، فقد كان **محمود درويش** هو الآخر الشاعر النجم والخطيب المفوّه وصاحب الكلمة السحرية يشعر بنوع من القلق قبل أن يعتلي المنصّة ليقرأ قصائده ويحاول أن يختلي بنفسه أحيانًا ليغسل وجهه فينطلق كالسهم، وما أن يقابل الجمهور حتى تمتلئ القاعة بالتصفيق الحار، وهكذا تتبدّد آخر ذرّات الإرتباك.

تأثّر جيل ناهدة الرماح بمقولة بقينا نردّدها **"أعطني خبزًا ومسرحًا أعطيك شعبًا مثقّفًا"** وهي منسوبة إلى **لينين**. والمسرح باعتباره أبو الفنون، لأن المسرحية مبنية على الرواية، هذا الفن القصصي كمرآة للحياة، بما فيها من صراع وجدل وخير وشر وجمال وقبح وكفاح وخضوع، تدخل فيه الموسيقى وأحيانًا الغناء والرقص في لوحة ميلودرامية ممزوجة بحبكة فريدة.

الباشا

توثّقت علاقتي مع ناهدة الرمّاح في بيروت والشام ولندن فيما بعد، واستمرّت حتّى آخر يوم في حياتها، وحيثما توجّهت أو ذهبت كانت على اتصال مستمر بي، وحين قرّرت المشاركة في عمل مسرحي بعنوان **"الباشا"** مع الفنان الكبير **سامي قفطان** ومن إخراج **فارس طعمة التميمي**، أبلغتني بتوجّهها إلى الشام وكذلك كنت أتابع زياراتها إلى بغداد ومطالباتها باستعادة حقوقها التقاعدية بعد العام 2003 ومنزلها المصادر، وظلّت تطلعني على ما هو جديد والعقبات والعراقيل التي وقفت في طريقها والجحود والصدود الذي لاقته من البعض ممن أصبح متنفّذًا في دولة ما بعد الاحتلال.

وكان الصديق المحامي **باسم البياتي** هو من يتابع قضاياها ويطلعني هو الآخر على ما يقوم به. وكانت قد عبّرت عن خيبتها بالوعود التي كان المسؤولون يطلقونها، بعد أن قضت 7 شهور في بغداد على أمل استعادة حقوقها، ولكن دون جدوى. وقالت أن ما يصبّرها هو حب الجمهور لها الذي لم تمح السنين من ذاكرته أدوارها كما قالت لجريدة الزمان.

"القربان" و فقدان البصر

يوم فقدت ناهدة الرمّاح بصرها وهي على خشبة المسرح ضجّت بغداد كلّها متعاطفة مع فنّانتها الكبيرة، بل انشغل العراق كلّه بها وكانت تردّد قبل انطفاء بصرها "صرت فانوس الكل اللّي يعرسون"، وحين عادت من لندن بعد إجراء عملية لعينيها خرج المئات من الناس لاستقبالها في مطار بغداد وحملوها على الأكتاف، وقالت في حفل التكريم المتواضع الذي أقمته لها في لندن: حين أبصرت الجمهور الذي جاء لاستقبالي نسيت الظلام الذي عشته، وأردفت: أن حب الناس هو النور.

وربما لا يعرف كثيرون ما فعلته الغربة اللّعينة والمنفى الاضطراري لاحقًا بناهدة الرمّاح، خصوصًا وقد ازداد شعورها بالمرارة والوحدة وعمّق هذا الشعور من وجعها وعزلتها، فضلًا عن آلامها المبرحة بسبب ابتعادها عن خشبة المسرح تزامنًا مع ضعف بصرها ، فما بالك حين عانت من الغبن والاجحاف، وأستطيع القول أن هذا الشعور كان يمتزج بالخيبة والخذلان لدرجة الخديعة والغدر.

وأكثر ما كان يوجعها في المنافي الباردة والحزينة هو الإهمال وعدم التقدير، وتلك كانت شكواها المستمرّة، إضافة إلى الابتعاد عن التمثيل والعمل الابداعي، والمسرح يختلف عن بقية أنواع الفنون والآداب والكتابة، فهو عمل جماعي ويحتاج إلى مستلزمات عديدة منها المكان المخصّص، ناهيك عن تحضير قد يستمّر لشهور من ملابس وإكسسوارات وماكياج وتدريبات وبروفات، وقد يحتاج إلى موسيقى وغناء، مثلما يحتاج إلى جمهور أيضًا، في حين أن الشاعر أو الكاتب أو الباحث أو الرسام أو النحات أو الملحّن يمكنه أن ينجز عمله الإبداعي بمفرده وفي منزله أو مع بعض المستلزمات البسيطة، على عكس العمل المسرحي والسينمائي، الذي لا يمكن إنجازه فرديًا وإنما هو عمل جماعي، وهو ما عانى بسببه جميع المبدعين المسرحيين.

وكانت ناهدة تدرك مثل هذه الفوارق وتراودها حيرة وأمل وتحاول أن تتعاطى مع ما هو ممكن وتتحمّس لمبادرة ما، لكنّها في الوقت نفسه لا تجد الوسائل الكفيلة بتحقيقها أو الاستجابة لها أحيانًا من ظروف المنافي

ناهدة الرماح

الأيقونة التي أعطت للمسرح عيونها

بقلم: عبد الحسين شعبان/ أكاديمي ومفكّر

القاسية، سواء من دولة أو وزارة ثقافة أم مؤسسة سياسية أم إعلامية، والكل يتذرّع بالأولويات، خصوصًا سبل العيش ناهيك عن شحّ الإمكانات، وهو ما عبّرت عنه في كلمة عند تنظيم فعالية تكريمية لها في منزلي بحضور نخبة من المثقّفين العراقيين والعرب، وقدّمت فيها أحد المشاهد المسرحية ورقصت وغنّت وهو ما جاءت عليه في رسالتها إلى اللجنة التحضيرية لمنحي وسام أبرز مناضل لحقوق الإنسان في القاهرة (العام 2003)، والمنشورة في كتاب "عبد الحسين شعبان : الحق والحرف والإنسان"، القاهرة، البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان، 2004.

وكنت قد جمعتها في لقاء آخر مع الشاعر الكبير **مظفّر النواب** والفنّان **سعدي الحديثي** والموسيقي **أحمد مختار** في دعوة خاصة، بحضور صديقات وأصدقاء مميّزين.

وكان أكثر ما يؤلمها في السنوات الأخيرة هو الحاجة والعوز لدرجة القهر، خصوصًا في وضعها الصحّي وضعف البصر الذي أخذ يتراجع بسرعة كبيرة لدرجة أقرب إلى العمى، وهو شعور بالعجز لفقدان القدرة على القيام بمتطلّبات الحياة اليومية بصورة مستقلّة ودون الحاجة إلى مساعدة أحد.

فقدت ناهدة الرمّاح بصرها وهي على خشبة المسرح في مسرحية **"القربان"** تؤدي دور زنوبة (10 كانون الثاني / يناير 1976)، واتضح أنه تلف أصاب شبكية العين، لكنها استمرّت في تقديمها، وقبيل إغلاق الستارة كادت أن تقع فتلقّفها زملاؤها ليعلنوا خبر فقدانها المفاجئ للبصر. وحينها أوعز الرئيس الأسبق **أحمد حسن البكر** لمعالجتها في لندن على حساب الدولة، وأرسلها بتوصية إلى السفارة العراقية التي قامت بواجبها أحسن قيام. وخضعت لعمليات عديدة لترقيع الشبكية. وعلى الرغم من تحسّن بصرها إلّا أنه سرعان ما عاد للتدهور مجدّدًا، الأمر الذي احتاج إلى علاجات طبيّة وتداخلات جراحية جديدة.

عطر الياسمين الدمشقي

في الشام كتبت رسائل عديدة إلى الحزب الشيوعي لمساعدتها في العلاج بالاتحاد السوفييتي، لكن دون جدوى. وطلبت منّي تنظيم لقاء لها بالرفيق **عزيز محمد** الأمين العام للحزب بعد أن كتبت رسالة شخصية له، وفعلًا استضفتهما في منزلي بدمشق. وعلى الرغم من وعود "أبو سعود" بمساعدتها، لكن الجهات السوفيتية حسبما يبدو لم ترغب في التداخل الجراحي بعد عملية لندن الكبرى وكان هذا هو الجواب الرسمي الذي أُبلغت به. وتم تقديم بعض المساعدات المادية البسيطة لها للسفر إلى لندن، علمًا بأنها كانت تتقاضى راتبًا من **منظمة التحرير الفلسطينية**، وكنت عند رأس كل شهر أسلّمه لها، وحتّى حين يتأخّر الراتب أحيانًا أقوم بدفعه لها إلى حين وصوله، وكانت صلتها بالحزب من خلالي، وكذلك الفنانة الكبيرة **زينب**، التي تم ترحيلها إلى لجنة ضمّت مصطفى محمد غريب (أبو أزاد) وساهرة القرغولي ورفيق آخر.

كانت أجواء ناهدة الدمشقية أكثر استقرارًا وانسجامًا وشعرت بشيء من الثقة والطمأنينة بعد فترة بيروت العاصفة، وكم كانت تعشق الياسمين الدمشقي وتتغنّى بعطره، وحين كتبت سرديتي عن الشام **"هي التي علمتني حب الصباح"** كم كانت تعتزّ بها وطلبت من أحد الأصدقاء قراءتها لها. وكانت علاقتها وطيدة مع **الأخ عبد الأمير رمضان**، إضافة إلى الفنانين الكبار **جواد الأسدي ومنذر حلمي وقاسم حول** ، وكانت على تواصل مع المخرج السوري **سعد الله ونّوس** والروائي **عبد الرحمن منيف**، وقد عرّفتني عليهما في مطلع العام 1981، وقضينا أكثر من سهرة في دمشق في منزل سعد الله ونوس في مساكن برزة، وكنّا نلتقي أحياناً في منزل **طارق الدليمي** في منطقة العفيف الذي عرفته عليها. وقمت بتعريفها على الفنان **محمد ملص** وشاهدنا سويّة الفيلم **"أحلام المدينة"** وكان يحضر معنا الرفيق **عبد الرزاق الصافي**.

وكانت قد تعرّفت على شقيقتي سلمى في الشام، وظلّت تزورها باستمرار وغالبًا ما يكون بوجودي، وأحيانًا دون وجودي لسفري. وبعد مغادرتها إلى لندن وذهابي إلى كردستان، لم نلتقِ حتّى انعقاد مؤتمر رابطة الكتاب والأدباء والفنانين الديمقراطيين العراقيين في دمشق العام 1986، وجاءت لتمثيل فرع لندن مع الصديق **فايق بطّي**. وكانت ناهدة قد شاركت في المناقشات التحضيرية لتأسيس فرع الرابطة في دمشق التي ضمّت أكبر عدد من المثقفين العراقيين المهاجرين، و الذي ترأسه الصديق عبد المنعم الأعسم.

حين حصلت مذبحة بشتاشان العام 1983 بحق الأنصار الشيوعيين على أيدي قوات الاتحاد الوطني الكردستاني (أوك)، كانت ناهدة تتصل يوميًا، بل وأكثر من مرّة باليوم بشقيقتي سلمى في الشام، عسى أن تسمع خبرًا إيجابيًا، ولم تكن سلمى تعرف ما الذي حصل في اليوم الأول، وبسبب تكرار الاتصال بها أدركت أن ثمة ما تخبئه هذه الاتصالات، خصوصًا وقد عرفت بعض التفاصيل التي انتشرت مثل النار في الهشيم في الشام، وكاد القلق والانتظار أن يأكلها، إلى أن جاءها الصديق قاسم سلمان (أبو الجاسم) ليبلغها أنني من الناجين، وهو ما أبلغته لناهدة الرمّاح التي كان سخطها يزداد وكذلك قناعتها بعدم جدوى ذلك الطريق، وهو ما قالته لي صراحة حين عرفت بنيّتي التوجّه إلى كردستان.

ولا أنسى اتصالاتها المتكرّرة بأخي حيدر عند خضوعي لعملية جراحية كبرى في بيروت (2015)، وإلحاحها على الحديث معي مباشرة، وحين شعرت بالتحسن قمت أنا بطلبها لأطمئنها. فقد كانت صديقة حميمة وحنونة وإنسانة تتدفّق مشاعرها بصدق في مثل هذه اللحظات، وتعرف قيمة هذا التواصل في أوقات المرض والضعف التي يتعرّض لها الإنسان. ولا يمكنني الحديث عن ناهدة الرمّاح إلّا بتداخل الخاص بالعام والذاتي بالموضوعي، فتلك هي العلاقات الإنسانية التي يقوم البشر بتمثيل أدوارها على مسرح الحياة الكبير.

في لندن كانت تشارك أحيانًا في بعض فعاليات المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وقد انضمت إلى **اللجنة العربية لإجلاء مصير منصور الكيخيا** (الشخصية الليبية التي اختفت قسريًا بتعبير الأمم المتحدة في القاهرة 10 ديسمبر / كانون الأول 1993، حين كان يحضر مؤتمرًا للمنظمة العربية لحقوق الإنسان)، وكانت اللجنة تضم شخصيات مرموقة واختارت مكتبًا تنفيذيًا ضمّ إضافة إلى ناهدة الرمّاح كلّ من: مصطفى كركوتي (رئيس جمعية الصحفيين الأجانب) وفاطمة أحمد ابراهيم (نائبة سابقة ومناضلة يسارية سودانية) و د. محمد الهاشمي الحامدي (صحفي وكاتب تونسي) وعبد الحسن الأمين (صحفي لبناني – رئيس تحرير مجلة النور) و د. خلدون الشمعة (أديب وناقد سوري) ود. محمد المهدي عبد الوهاب (كاتب سوداني) ، وترأسها الشاعر **بلند الحيدري**.

العسف

عانت ناهدة من عسف سياسي بسبب ميولها اليسارية، واعتقلت في العام 1963 في موقف خلف السدّة بغداد ، ومكثت فيه عدّة شهور، كما فصلت من عملها حيث كانت موظفة في أحد البنوك. وقد أعيدت إلى الوظيفة في العام 1968 بعد قرار إعادة المفصولين، وتم تعيينها في مصلحة السينما والمسرح، وكانت عضوًا في نقابة الفنانين منذ العام 1960 ، ويعتبر عقد السبعينيات هو العقد الذهبي بالنسبة لناهدة، حيث تبلورت شخصيّتها ونالت فيه عدّة جوائز، كما شاركت في مهرجانات وفعاليات دولية، لكنها اضطّرت إلى الرحيل في العام 1979 بسبب توتّر الوضع السياسي، وعاشت في منافي متعدّدة. وظلّ حنينها في العودة إلى المسرح جارفًا.

جدير بالذكر أن ناهدة الرّماح منذ شبابها الأول زارت العديد من السجون العراقية، سواءً سجن نقرة السلمان أم سجن بعقوبة أم سجن الكوت، وذلك لمواجهة شقيقها أو زوج أختها عبد الوهاب الرحبي، كما أن والدها كان نقيبًا لعمّال ديالى حسب ما يورد الصديق صباح المندلاوي.

سيرة لم تستكمل

على الرغم من أن ناهدة الرّماح لم تصدر سيرتها أو مذكّراتها ، إلّا أنها سجّلت مجموعة كاسيتات أرّخت فيها ليس حياتها فحسب، وإنما شملت تاريخ المسرح العراقي أيضًا ، ويمكنني أن أضيف أنها دوّنت أيضًا تاريخ الحركة الفنية العراقية ارتباطًا من المسرح وجزء من تاريخ الحركة الوطنية اليسارية العراقية. وقد اختلفت الروايات حول مولدها، فهناك من يقول أنها ولدت في بهرز (بعقوبة) العام 1936 كما يذكر صباح المندلاوي ويؤكد أنها دخلت المدرسة الابتدائية هناك، وبين من يقول أنها ولدت في بغداد العام 1938 وفي إحدى المحلات الشعبية، أما اسمها الحقيقي فهو **ناهدة اسماعيل ياسين القريشي** وتلقّبت بالرمّاح على اسم زوجها الصديق شوكت الرمّاح (أبو وسام).

منذ أن اكتشفها الفنان **ابراهيم الهنداوي** حين صادف أن التقاها في عيادة طبيب، ظلّت متشبّثةً بالفن بشكل عام والمسرح بشكل خاص وكأنها وجدت ما كانت تبحث عنه روحها، وبقيت الروح متعطّشة، بل ظامئة لا يمكن لها أن ترتوي إلّا بالمسرح، وكلّما ابتعدت عن خشبته زادت روحها عذابًا وتوقًا إلى لقياه وكأنه الحبيب المفقود.

توفّيت ناهدة في بغداد، بسبب حروق أصابتها في مكان سكناها، حيث بقيت في المستشفى لنحو أسبوعين، وكان قلبها قد احترق قبل ذلك حين عادت إلى بغداد، وعرفت ما حلّ بها في السابق والحاضر، وكنّا نردّد ما قاله الشاعر **أحمد الصافي النجفي** بعد عودته إلى بغداد إثر هجرة دامت نحو 5 عقود من الزمن

يا عودة للدار ما أقساها ... أسمع بغداد ولا أراها

لم تستطع الريح أن تكسر ناهدة الرماح، وإنْ انكسر قلبها بسبب الصدود و التنصّل والغدر، وما لاقته من البعيد والقريب أحيانًا. وعلى الرغم مما لحق بها من ظلم وإجحاف ولا مبالاة، إلّا أنها لم تكن ترتض سوى بعراق حرّ، وهي وإن اغتبطت حقًا برحيل الديكتاتورية، لكن حزنها أخذ يتعاظم بسبب استشراء المظاهر الطائفية والإثنية وتكريس نظام المحاصصة، حينها شعرت بتبدّد آمالها وتحطّم أحلامها، لدرجة وكأن الضوء الذي ظلّت تنتظره لفترة طويلة صار أقرب إلى الوهم، وربما أصبح كابوسًا، كما عبّرت في إحدى مهاتفاتها لي من بغداد.

كانت ناهدة النجمة الأولى في المسرح العراقي وانطوت سيرتها على قدر من الاستثنائية والتفرّد ، واكتسبت شجاعة رمزية ألهمت كوكبة من النساء ونخبة من المؤمنات بتحرّر المرأة، خصوصًا من الشابات، وهو ما كانت تلمسه وتتحسّسه في حياتها بما فيها في الغربة، التي سارت في دروبها الوعرة وخبرت تضاريسها وعرفت منعرجاتها، لكنها لم تستكن أو تنزو أو تتقاعس على الرغم من كلّ ما حصل لها، بل كانت تلقي محاضرات وتشارك في ندوات وأماسي تتحدّث عن تجربتها، وتساهم أحيانًا بفاعليات مختلفة وعلى امتداد بلدان المنافي والهجرة، ففقدان البصر لا يلغي نور البصيرة. وتلك حكمة التاريخ، وكان لسان حالها يقول مع **غابريل ماركيز** "لقد انتهى كلّ شيء .. وبقي ذلك الأسى الغريب الذي لا يعرفه سوى كنّاسي المسرح بعد خروج آخر الممثلين".

هكذا غاب نجم ناهدة وانطفأ مثل شهاب، وحسبي أن أردّد ما قاله كازانتزاكي "الحياة فظيعة ونحن لا نشعر بذلك، ونبدّدها في تفاهات بائسة ولا نكتشف سيرنا نحو الهاوية إلّا ونحن عند موت عزيز". فسيرة ناهدة الرمّاح فريدة وغير قابلة للتكرار.

الشرق الأوسط والتجارب الديمقراطية العرجاء!

كفاح محمود كريم/ أربيل

ثلاث تجارب للتطبيقات الديمقراطية على الطريقة الغربية تم استنساخها في ثلاث دول من دول الشرق الأوسط بداية ووسط القرن الماضي، وفي مقدمتها ديمقراطية أتاتورك في تركيا بعد اضمحلال الإمبراطورية العثمانية الشمولية وانحسار الحكم التركي في آسيا الصغرى بإعلان الجمهورية التركية التي اعتمدت العلمانية أساساً لتجربتها في الديمقراطية، تلتها بعد ذلك وفي عام 1943 التجربة اللبنانية التي وضعت لبناتها الأولى الدولة الفرنسية، وما لبث بعدها بسنوات قليلة إعلان دولة إسرائيل ومعها تجربتها الديمقراطية على الطريقة الأوروبية، وفي التجارب الثلاث واجه المشرعون والمفكرون السياسيون تحديات كبيرة في عملية التطبيق، وخاصة ما يتعلق بمواجهة البنية الاجتماعية ومكوناتها والولاء الديني والمذهبي والعرقي المتشدد الذي أعاق تقدم ونجاح ذلك النظام رغم بعض النجاحات التي تحققت على المستويين الاجتماعي والسياسي، لكنها بقيت تصطدم بجدران الانتماءات العابرة للمواطنة الجامعة، بما جعل برلماناتها لا تمتلك تلك المصداقية في تمثيل المواطنة الحقة، وبقيت مجالس تمثيلية للأحزاب واتجاهاتها حصرياً.

في التجربة الأولى، ورغم القوانين الصارمة التي أصدرها أتاتورك في حينها لصناعة شخصية وطنية فوق الانتماءات الثانوية كما كان يتصور، محاولاً إذابة مكونات رئيسة تكاد أن تتجاوز في تعدادها النصف من سكان جمهوريته في بوتقة عنصر واحد هو العنصر التركي، مانعاً أي استخدام لثقافات أخرى، لغة وتقاليد وفلكلور، وصل إلى حد منع استخدام قبعات معينة تعكس فولكلورا مغايراً، فشل في قمع الكرد والأرمن، وتسببت سياسته باقتراف مجازر وحروب إبادة، ومن ثم استمرار الانتفاضات وأعمال المقاومة لسياسته حتى يومنا هذا بما منع طموح تركيا في دخول النادي الأوروبي ومعاييره.

وفي الثانية، ورغم بعض النجاحات اللبنانية هنا وهناك، إلا أنّ الأساس الخاطئ الذي بنيت عليه التجربة الديمقراطية انتهى بلبنان إلى الحال الذي يعيشه اليوم من تشرذم وتسلط قوى طائفية مرتبطة بمشاريع إقليمية لا علاقة لها بالمطلق بلبنان وشعبه، مما جعل مجلس نوابه وسلطته التنفيذية سلطات طوائف وبيوتات لا تمت بأي صلة لمفهوم البرلمانات وتعريفها الديمقراطي، وكذا الحال في الثالثة بعد اعلان دولة إسرائيل التي ادعت أنها واحة للديمقراطية في الشرق الأوسط لكن ما يحصل فيها من صراعات على مدار الساعة وليس الأيام ومنذ إعلان تأسيسها يؤكد عكس ما تدعيه وما يذهب إليه البعض في اعتبارها دولة ديمقراطية على النمط الأوروبي.

خلاصة القول، إن التجارب الثلاث وما تلاها في كل من إيران الشاه ومصر ومن ثم الديمقراطيات المستنسخة في العراق وتونس وليبيا والسودان، اصطدمت جميعها بحقائق تؤكد أن النمط الأوروبي لا يمكن تطبيقه في مجتمعات لم يتبلور فيها مفهوم حر جامع للمواطنة وما تزال تعاني من تعدد الولاءات القبلية والطائفية والدينية وحتى المناطقية، ناهيك عن التبلور العرقي والقومي الذي لم يرتقِ بعد إلى مستوى المواطنة الجامعة لكل هذه الانتماءات، وهو بالتالي، أي النمط الأوروبي، يصلح في مجتمعات تجاوزت ظروفها التاريخية منذ زمن طويل وتطبيقها في مجتمعاتنا يعطي نتائج عكسية تماماً، وهذا ما يحصل فعلاً، وخير نموذج في ذلك ومنذ قرابة العقدين في العراق، حيث فشلت كل قواه السياسية وحتى الاجتماعية من إنتاج برلمان يمثل الشعب العراقي تحت مظلة مفهوم المواطنة، بل حصل العكس تماماً، إذ تحول البرلمان إلى مجلس للأحزاب التي لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من مجموع الأهالي الذين يرفض غالبيتهم حتى فكرة الاقتراع.

في المقابل، نجحت بعض دول المنطقة في إنتاج مجالس للشورى هي الأقرب إلى سيكولوجية مجتمعاتها وثقافاتها المتأصلة، سواء في التقاليد والعادات أو في مسألة تعدد الولاءات، بحيث منحت فرصة الانتخاب وبنسب محدودة وشروط ملزمة إزاء نسبة أخرى في الاختيار والتعيين على خلفية البناء الاجتماعي المتوارث والقيمة المعرفية والمكانة الاجتماعية والاستشارية للأعضاء المختارين، وهي الأقرب إلى فكرة مجالس الأعيان والشيوخ واللوردات في بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وغيرها من الدول التي تضع بعض الكوابح في مجالسها التشريعية لكي لا تتغول أو تتسيد، وإن اختلفت عملية الاختيار.

ولذلك نرى أن الناتج الانتخابي في معظم دولنا لا يعبر حقيقة عن الصورة الأصلية لواقع مجتمعاتنا بسبب الخلل الكبير في الناخب والمنتخب، مما يتطلب إجراءات جدية للارتقاء بمستوى الاثنين من الناحية النوعية تؤهلهم كمرشحين وكناخبين بمستوى تمثيلي رفيع، وفي مقدمة تلك الإجراءات ضرورة إيجاد ضوابط مشددة للناخبين، بدءاً من رفع سقف العمر إلى 25 سنة مع شرط إكمال الدراسة الثانوية على الأقل، ناهيك عن مجموعة ضوابط أخرى تجعل عملية الانتخاب بمستوى شروط الترشيح ومميزاته، مما سيشجع الناخبين على ضرورة التعلم لممارسة حق ليس رخيصاً أو سهلاً، بل يحتاج إلى جهد ومميزات تؤهله للقيام به، وفي ذات الوقت يبدو أن رفع سقف العمر للمرشح أيضاً بات ضرورياً مع التشديد على مسألة المؤهلات العلمية والمعرفية وضوابط اجتماعية وأخلاقية أخرى تؤهله للجلوس على كرسي البرلمان ممثلاً للشعب لا لحزب أو عشيرة أو دين أو مذهب أو عرق فقط.

تجاذب وصراع الزعماء السياسيين.. هل هي لمصلحة أبناء الشعب؟

منال الحسن/ روتردام هولندا

شهدنا في الآونة الأخيرة صراعاً معلناً بين زعيمي أكبر كتلتين للمكوّن الشيعي في العراق , وقد وصل هذا الصراع إلى تبادل التهم والتهديد والاستفزاز والتحريض, مما أربك الرؤية تجاه المشهد السياسي المقبل وطبيعة تشكيل الحكومة الجديدة التي طال ويطول أمد انتظارها كما تشير قراءة الأحداث وطبيعة العلاقات بين الكتل السياسية والأطراف المعنية باتخاذ القرار المناسب الحاسم الذي من المؤمل أن يوصل مصير البلاد إلى برّ الأمان.

الهاجس الأول الذي يستدعيه هذا الصراع الحاد, هو مدى تأثيره على الشارع العراقي وعلى جمهور كلا الكتلتين بشكل مباشر, لأن التصعيد يؤدي إلى الفتنة وبالتالي الخشية مما هو أخطر ومما لا نريد حدوثه بعد أن قطعنا شوطاً طويلاً من المعاناة كشعب, تحمّل أبناؤه ما تحمّلوه وانتظروا بابا للفرج ينقذ ما تبقى من البلاد ووضعه الذي يزداد سوءاً , كما يزداد ارتباكا في العملية السياسية.

إن الخطاب الذي يجب أن يسود الآن هو خطاب العقل والتفهم وتدارك الأمور كي لا ندخل في نفق مظلم, وعلى جميع المعنيين والقادة أن يراعوا ما يمر به العراق, وأن يراجعوا أنفسهم, كي يعرفوا أين يكمن الخلل , وهل نجح المطالبون بالعودة للسلطة وزمام الحكم في فترات توليهم الحكم, وأنا هنا لا أتحدث عن رئاسة الوزراء حصراً, بل جميع الكتل والأطراف التي شاركت في العملية السياسية منذ عام 2003 حتى الآن , فالفشل هو دالة الجميع والدليل النتائج التي حصلت في البلاد وما آل إليه وضعه على الأصعدة كافة..

لذلك على الجميع إدراك أن المرحلة المقبلة من حياة العراق , لن تكون آمنة للمفسدين, ولن يجني المدافعون عن الفساد والفشل إلا غضب الشعب الذي ربما ينفد تحمّل أبنائه, وربما ينفجر عليهم, وعندها لا ينفع الندم, وليتذكر الجميع مصير الطاغية صدام, الذي تمادى في طغيانه وجبروته, حتى حسب أن لا قوة قادرة على إزاحته عن السلطة, حتى واجه مصيره الذي يعرفه الجميع, وعليه فإن تدارك الخطأ والعمل بوصايا المرجعية الرشيدة التي يا ما أعطت نصائح وإرشادات لجميع المتواجدين على خارطة العمل السياسي , لكنهم أعطوا الأذن الطرشاء, ولم يراعوا مصلحة الشعب, وأمر الفساد هنا لا يخص كتلة دون أخرى, فالكل قد شارك وعمل ووضع بصمة في ميدان الخراب, وكمموا كل صوت وطني ينادي بالإصلاح الحقيقي لا المبني على ركائز خادعة هشة سرعان ما تنكشف دوافعها, وأنا شخصيا لو لا تواجدي في غربتي خارج العراق, لما تجرأت في الحديث المكشوف عن كل الطبقة السياسية الحاكمة التي أوصلت بلدا عظيما مثل العراق إلى ما وصل إليه من دمار, فقد تعودت الجهات المتنفذة على اغتيال كل من ينتقد أداءهم السيء وكل من يعلو صوته مطالبا بالتغيير ومراعاة المصلحة العامة قبل المصالح الفئوية المريضة الضيقة..

المهم الآن أن لا يجرّ المتصارعون أبناء الشعب إلى بقعة الهلاك, وأن لا يجعلوا أبناء الوطن الواحد يتقاتلون بينهم من أجل إدامة عروشهم وضلالهم وفسادهم واستحواذهم على خيرات البلاد وثرواته من أجل العبث بها, عليهم أن يعودوا إلى رشدهم وأن لا يلعبوا أكثر بالنار, وأيضا لا يستخفّوا ويستهزئوا بقدرات الشعب وغضبه حين يدرك أن الطريق مسدود أمام الإصلاح والتغيير.

لا أريد هنا أن أكون مثل بعض الإعلاميين الذين يتبنون خطاب جهة على حساب جهة أخرى, فهذا الخطاب أبسط ما يقال عنه إنه خيانة للمهنية وللمصداقية والهم الوطني, فأنا مع عموم الناس, مع وطني الغالي, أدافع عنه بكل ما استطعت, ولا وسيلة عندي غير كلمتي الحرة, التي تخرج من أعماقي دون تزويق أو لف أو دوران, أسأل الله أن يهدي الجميع للصلاح ..

تحولات الانسان بين (نسّاي) يوسف المحسن و (عمى) جوزيه ساراماغو

(الأهالي باتوا يخشون الشفاء من النساي، لايجدون ولا يجتهدون للبحث عن طريق للخلاص منه) ر النساي ص259

(اعتقد أننا عميان ، عميان يرون ، بشر عميان يستطيعون أن يروا ، لكنهم لا يرون) ر العمى ص379.

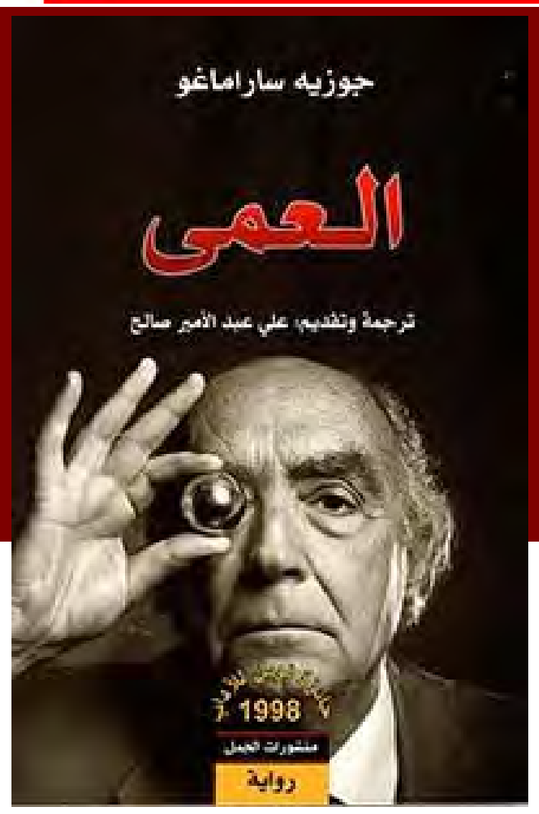

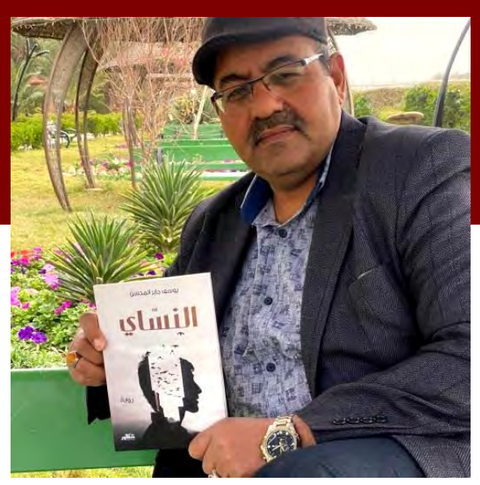

بقلم حميد الحريـــزي

العنـــــوان :

(النساي) رواية الروائي العراقي السماوي يوسف جابر المحسن الصادرة عن دار سطور للطباعة والنشر ط1 2020، الرواية التي بحثت عنها كثيراً لأكمل بدراستها دراساتي التي شملت كل المنتج الروائي في مدينة السماوة من خلال متابعتي للمنتج الروائي للأدباء في هذه المدينة العزيزة، وقد سررت كثيرا بالحصول عليها اخيراً حيث تفضّل بإرسالها المؤلف قبل ايام، ولكنني عندما قرأت الرواية تأسفت لأني طلبتها حيث وجدتني وسط حقل سردي شائك استعصى عليّ سلوك دروبه وطرقه المتشابكة حدّ فقدان طريق الخلاص دون بوصلة عالية التقنية وعبر دليل خبير في فك عُقد السرد ومنعرجاته وفكّ رموز طلاسمه، ووجدت صعوبة في امتلاك رشاقة حركة الفكر والقدرة على الامساك بخيوط السرد والربط بين مجرياته ودلالاته، والقدرة على امكانية تصنيع لوحة تجمع الـ (100) لوحة صغيرة وعلاقة بعضها ببعض...

فقلت في نفسي يا ليتني ما فتّشت يا ليتني ما نلت لأجدني في هذه الورطة الكبيرة، وعلى وجه الخصوص ونحن نعيش حالة عامة من التشوش والغموض والضياع على مختلف المستويات الاجتماعية العامة وعلى مستوى الوضع الخاص، فالمتن الروائي يتطلب منّي اقصى حالات التركيز والصفاء الذهني والفكري واستذكار الحدث والربط بين لوحات السرد الـ (100) لوحة التي تحمل الكثير من الخطوط المتقاطعة والافكار المدهشة والتطلعات الانسانيّة المضمَرة والمسكوت عنها، كل هذا مطلوب منّي وأنا في أمس الحاجة لأكون واحداً من سكّان القرية أو المدينة التي اصابتها عدوى النساي، ففي الوقت الذي قادتنا فيه الحياة الى شيخوخة السبعين، نرى ان الذكريات تتنامى شبابا متجددا في كل يوم، ذكريات الطفولة البائسة، والشباب المحمّل بأحلام لا تحصى تبخرت وطارت كما طارت الطيور من رأس صورة غلاف النسّاي، وشيخوخة عاصرت الانهيار غير المسبوق في القيم الاجتماعيّة العامّة وجهل وفساد غير مسبوق على مستوى الحُكم !!

هنا تقاطعت في ذاكرتي المستفَزة صور واحداث رواية (العمى) للروائي الكبير جوزيه ساراماغو، حيث أصيب الناس على حين غرة بالعمى واختلط الحابل والنابل، ولم تسلم من العمى سوى زوجة الطبيب الرجل الأول الذي أصيب بالعمى وهو يقود سيارته وسط الشارع، وصاحبة النظارة السوداء، والحيوانات مما دعا السلطات لحجز من اصيب بالعمى سعياً منها لاحتواء المرض ولكن دون جدوى... (النسّاي) توصيف لوباء أصاب الناس في احدى مناطق العالم بنسيان ذكرياتهم الشخصية والعامة بما فيها اسمائهم ...وعبر الـ (100) لوحة وعلى امتداد 285 صفحة من الرواية وصف لنا الروائي حالة الناس والحيوان والنبات بعد تفشي وباء النسّاي بين الجميع ماعدا المخبولين والبلهاء والمجانين، امّا الاذكياء والشطّار والنبهين فقد اصابهم المرض، لم يذكروا أسماءهم ولا اسماء واشكال ابائهم وامهاتهم وزوجاتهم، لا اماكن سكنهم ودورهم ولا ممتلكاتهم ولا ماهي مهنهم، ولا معنى للبحر والنهر، فمثلا كانوا يقتحمون البحر حتى الغرق، يفترشون الخلاء للنوم، يصنعون من أوراق النقود قوارب وطائرات ورقيّة ويقذفونها لتدفعها الريح فيتلقفها الفقراء الذين أحولت عيونهم من البحلقة الى الأعلى ترقّباً للنقود النازلة عليهم من السماء (انّه النسيان الذي افرغ ما في رأس الهواء، شحاذو المدينة صاروا اثرياء بفعل الريح التي تقذف بالأوراق النقديّة، الاغنياء غدوا معوزين لتمضيتهم ساعات النهار وهم يصوغون الطائرات الورقية من أموالهم) ر ص255.

(الطبيبة –جنّة- منذ ان دهتها العدوى صارت تدأب على الاستجداء بعد ساعات العمل في الميناء...) ص255. الطفل يتوه ولم يعد يتعرّف على والدته، ولا والدته قادرة على التعرّف عليه فور افلاته من يدها وسط زحام الناس في الأسواق أو الطرق المزدحمة ... حتى الكلاب رفضت اللحاق والإمساك بالفرائس حتى ولو ضربت بالسياط .

الرجل يلتقي زوجته على سرير الزوجيّة وكأنّه يراها لأول مرة والمرأة تلتقي زوجها وكأنّه يوم زفافها !!

تم نسيان كل شيء، العدوات والاديان والقوميات والطوائف، وحتى الحيوانات نست غريزتها في الافتراس والتوحش، فابن المقتول يعانق ويجالس القاتل، واليهودي يجالس المسلم والمسيحي والملحد، لا سنّيّ ولا شيعيّ ولا صابئي ولاهندوسي ولا بوذي.. النسّاي دفع الناس لحصد اوراق الأشجار لتغطية عوراتهم بعد ان تخلّوا عن الملابس والنسيان اصبح نعمة للناس (الناس الذين اصيبوا بالنساي أحسّو بأنّهم أكثر نشاطا وحيويّة، ربّما لأنّهم تحرّروا بعد أن كانوا مكبلين بذكريات الحنق وعدم الرضا والآمال والخيبات، لقد وعوا ان النسيان هو افضل طريقة للعيش بسعادة...النسيان صار عزاء للمهزومين والمجروحين والعشّاق والمشتاقين والمفقودين والمشتغلين بالسياسة ...) ص 51.

وجبات الأكل اصبحت جديدة في كل مرة يتناولها على الرغم من تكرارها اللبوة ترضع وليد الغزال، والذئب يداعب الحمل، والكلب يلاعب القط ... ولكنّنا نستغرب كيف تحاصر الذئاب (حاء نون) وهو داخل قفصه الحديدي لأكله وربّما تمكّنت منه في نهاية الامر بعد طول حصار وانتظار لأنّه خارج نطاق قرية (النساي)؟؟

من يجيد القراءة والكتابة اخذ يخط الاسماء والعناوين والمهن على قطع من المقوى وتعليقها في رقاب الناس ليعرفوا من هم، وكذلك سجّلوا قائمة بأسماء الاعداء ومن لم يرغبوا بمجالسته أو مرافقته، ومن تسرق أو تضيع قطعته من رقبته يتوه!!

أمّا من لا يعرفون القراءة والكتابة فاخذوا يتعاملون ويتعارفون ويعرِّفون عن انفسهم بالصور (الصور وليس غير الصور هي التي لجأ اليها من لا يعرف القراءة والكتابة، كانوا يطلقون عليهم سرا أسم الصوريين)) ص 183.

وبذلك تحوّل الناس الى صوريين وكتابيين.

حتى المدخنين اخذوا يتعجبون ويقفون مبهورين ممن يحرق ناراً ويمتص دخانها!!

امتهن البلهاء والمجانين مهنة التذكير ليذكّروا الناس بما نسوه وهم ينادون (تذكير.. تذكير...تذكير)، ومن مهن الحرب هناك مهنة (التطيين - ياجندينه خل الطينه... ومن ترجع سالم نظفه) وهي عملية تطيين السيارات حتى لا تعكس أشعة الشمس وتكون هدفاً لنيران الأعداء، ومن المهن حفر القبور وبيع الأكفان والكافور ...الخ .

من المهن الطريفة مهنة اناء الزواع الذي يدور به أحدهم على السكارى الذين يريدون التزوع بعد السكر (تزوّع يبيه ... تزوّع استاذ .. تزوّع يبيه)!! ص 141.

ليس من مهمّة الناقد العرض الشامل لمتن الرواية ولكنّ الاشارة الى اهم مضامينها لبيان سعة معرفة وثقافة بالإضافة الى دقّة ملاحظة الروائي وفطنته والتقاطه للصور والأحداث التي قد تمرّ مروراً عادياً خارج عين وقلم الرائي العادي حينما يحولها الى نص أدبي من خلال سرده الروائي...

بالإضافة لما ذكرت، ثمّة الكثير من ما سيطّلع عليه القارئ لرواية النسّاي، اجاد به الخيال المدهش للروائي وقدرته الكبيرة على تصنيع الشخصيات وتخليق الكائنات السحرية التي لا تمرّ على بال.

اكتنزت الرواية بالعديد من المقولات التي تدل على الحكمة والموعظة كما تدل على تجاوز السائد والتقليد : (الجوع جندي تجيد الحكومات تدريبه، اما الفقر فمومس تضاجع المصلين في احلامهم ليستيقظوا خضلين مبللين بسائلهم المنوي وبلذة تنسيهم وقت الصلاة) ص 149.

(الجنس ليس وقاحة، الوقاحة في إخفاء الجنس خلف تقاليد وضعها مهووسون لم يوفوا بها، وهم الاكثر شذوذا) ص 152.

(العاشق حتى وان كان ميتا يحوم مثل فراشةٍ حارسةٍ لنصفه الآخر..) ص 157.

(حتى لو كان الطبيب مدركاً بنسبة مئة بالمئة أن مريضه سيموت، فعليه ان لا يكون سبباً في انتزاع حياة لم يمنحها في يوم ما) ص 135.

(الألم فقاعة تنفجر لتنجب مزيدا من الفقاعات)ص 103.

(وفاء الكلب لعبة حتى الموت)ص 109.

(الغروب منطقة منزوعة السلاح) ص 120.

(القنابل وجه آخر للقبح، يقسم رغيف العشق الى نصفين أو أكثر، هي لغة المهزومين حين تخطّ للبشاعة خريطتها وللاندحار مسوغاته) ص95

(الحيوانات اصدقائي وأنا لا آكل اصدقائي)ص 101.

(الرصاص هو الرصاص في المسدس أم في القلم) ص 56.

(الدائن مثل الكلب البدوي.. ان قدِمت عليه هرب منك وان هربت منه هاجمك) ص40.

(الحب يدب في كل الأديان، ولكن لا دين له) ص262.

(الحرب لا تبقي غير شواهد الأضرحة)ص159

(كيف يمكن للورود أن تنمو في الثكنات) ص170

(مثل طعم القبلات الذي يهرم مع التكرار تبقى القبلة الاولى هي الأشهى)

(الدفء ليس بإشعال النار وقتل نبتة أو اقتلاع جذر، الدفء في المحبة ونسيان الأذى، لا بقتل الهواء المنعش بالدخان) ص 229.

(صناعة اللحوم تتجاوز في خطورتها صناعة الاسلحة)ص229.

اكتفي بهذا القدر من المقولات الرائعة حيث الحكمة والصدق وسعة الخيال والاكتناز بالمعرفة والجرأة الكبيرة التي سجلها الروائي في متن روايته ... لم احرمكم من متعة متابعة العديد من الأحداث والسلوكيات والمشاهد السحرية والعجائبيّة في الرواية والاحداث الطريفة والمفارقات المدهشة التي سطّرها المؤلف بين ثنايا روايته.

تكاد تكون الشخصيات الرئيسية في الرواية التي تداخلت فيها الأدوار والسلوكيات والشخصيات بين الواقعية والسحرية العجائبية بين الأنسان والحيوان والشجر والنبات، والجن، والخرافي، على الرغم من ذلك يمكننا تمييز شخصيتين مميزتين رئيسيتين وهما شخصية (نبيل حامد وهو ذاته نون حاء وذاته الملاذ، هذا الذي ولد على الرغم من أن امّهُ كانت تتناول حبتين مانع حمل في اليوم الواحد، الذكي الوسيم المعشوق من قبل فتيات القرية الجميلات، والذي عشقته واغرمت به أبنة الحاك خارقة الجمال (جنّة) التي عشقها الجميع والتي اشتهاها الجميع في الواقع والحلم والخيال والتي ابتدأت الرواية بخبر موتها الذي ترقبته وهو مكتوب باللون الاصفر على جدار الموتى كبقية الاسماء بعد أن تسلّلت من قبرها ذي القبّة الزجاجية لتطل برأسها من وراء السياج وترى (شباب وقفوا ذاهلين غير مصدقين إن اجمل الفاتنات توفيت، رفيقة أحلامهم وشغلهم الشاغل في الصحو ثوت، منهم من اشتهاها، ومن حلم بها في لحظات خلوة وعاداته السرية، من درس معها أو وقف بجانبها، ولعب مثل عنكبوت صغير مجرّباً ايقاعها في مكائد العشق) ص10.

فقد كانا شخصيتين جمعتا مواصفات الواقعيّة والسحريّة والعجائبيّة، وقد خصبهما الروائي بخياله الباذخ في سحريته وادهاشه. وربّما لن يصابا بالنسّاي كما هي زوجة الدكتور وصاحبة النظارة السوداء اللتان لم تصابا بالعمى في رواية (العمى) لجوزيه ساراماغو.

وقد أعلن الروائي موت (نبيل حامد) في نهاية الرواية ولكن (لا احد يعلم كيف مات نبيل حامد أو الملاذ، كما تسميه الطبيبة جنة أو نون حاء كما يحلو لأصدقائه...لا احد يفقه على وجه الدقة كم مرّة مات فيها نون حاء، وكم مرة عاد الى الحياة، وكيف مات...) ص 283-284. ولكنّ جنّة لمحت تحت اللافتة المعلقة على جدار الموت التي عبثت بها الرياح عبارة :

WWW.FACEBOOK نون حاء COM ، منحوتة منذ زمن في جدار الموتى، بمعنى هنا انه شخصية افتراضية، وهذا هو الفرق المهم بين رواية ساراماغو حيث بقيت شخصية الأعمى الأول وزوجته المبصرة أحياء وبدأ داء العتمة البيضاء والعمى ينقشع حيث اكتشف الاغلبية بأنّه عمى فكري أصاب المجتمع وجعله يتقاتل على المنافع والمصالح وانتشرت في وسطه الجريمة والقتل والامتلاك والاغتصاب وصراع حامي الوطيس بين معسكري الشر والخير وغياب وهروب كامل لقوات السلطة التي اصيبت بالعمى أيضا وفشلت كل اساليبها القمعيّة من السيطرة على هذا النوع من العمى، واراد الروائي أن يقول أن الحل هو في وعي الناس وتبصرهم وليس بالقمع، فكانت رواية البصيرة هي الجزء المكمل للجزء الاول رواية العمى حيث امسك الشعب بزمام قضيته ولم تعد تنطلي عليه الاعيب السلطة وعنفها وقمعها ...

لكن في النسّاي الناس استسلمت لحالة النسيان فهو خلاصها من كل تبعات الواقع المتردّي وحالات الإحتراب والخراب والاقتتال القبلي الطائفي العرقي ... فهل نتوقع أن يتحفنا الروائي برواية تصور الناس وقد استعادوا ذاكرتهم الواعية المتبصرة المتعايشة بسلام وحب ووئام نابذة كل اساليب العداء والتفرقة على اساس العرق والجنس والقومية والدين والعقيدة، والتوزيع العادل للثروة (احبب لأخيك ما تحب لنفسك).

كم أتمنى وربّما الكثير غيري أن أعيش حالة العمى والنسّاي كليهما حتى يوم ولادة البصيرة في الوعي الاجتماعي الجمعي لخلاصنا من واقعنا الحالي ... كان الروائي متمكّنا تماما من الإمساك بخيوط السرد كـ(حائك للكلام) وكما يقول ياسين النصيّر، حائك ماهر ومتمرس وخبير، يمتلك خزيناً لغويّاً غزيراً وشاعرية جميلة في صياغة الجمل وفي التوصيف والتعريف للحدث، فلم يكن سرداً تقريراً بل كان سرداً ادبيّاً فنيّاً مشوِّقاً رائعاً، تمكن من خلال اختياره لخيوط السرد وانتقاء الوانها لينتج نسيجا سرديّاً مبهراً يسرّ القراء والناظرين والمتخيلين لصوره السردية، واضح المعالم من خلال التشبيه والترميز والبلاغة، وكأنّه تمثل مهارة الحائك الذي استولد (جنّة) ساحرة الجمال واصفاً اياها بأروع واجمل منسوجاته، فأستولد لنا يوسف المحسن رواية النسّاي الساحرة المبهرة...

رواية النسّاي رواية تتميز بثيمتها المميزة وغير المكررة، السرد ليس سرداً خيطيّاً نمطيّاً، مشبعة بروح السحريّة العجائبيّة الشعريّة غير منفصلة عن الواقع، وتتضمن اشارة مضمرة بأن كل شعب يريد أن يعيش بسلام فلا بدّ له من نسيان تاريخ الخلافات وتاريخ العداء والاقتتال والتمييز والاستحواذ على الثروة، مع ان حالة النسّاي حالة متطرّفة حد العدميّة وهي الأقرب إلى الفوضى بدلاً عن الامان.

وتنظيم الحياة لأنه نسيان قسري غير واع، فهذه الشعوب بحاجة الى بصيرة (ساراماغو) اكثر من حاجتها الى نساي (يوسف المحسن).

وقولي الختام بأنني قرأت رواية تصطف مع اجمل وانضج واكمل الروايات العراقية التي اطلعت عليها وهي غير قليلة.

العراقية الاسترالية

كتاب: (اسطورة "جودر" والتحرر من سلطة الأم- دراسة تحليلية في تأثير أسطورة الصياد "جودر" في الأدب)

داود سلمان الشويلي/العراق

الحلقة/5

(2)

اسطورة جودر و"ما هي الحقيقة ؟"

في الدراسة السابقة درست فيها إحدى الحكايات الألف ليلية التي تقدم عقدة نفسية/ إجتماعية كما هي عقدة أوديب، وعقدة أليكترا، في الحضارة الاغريقية والتي أصبحت عالمية، وهي عقدة "جودر" في حكاية "جودر الصياد ابن عمر وأخويه" هذه العقدة هي عقدة قتل الأم، والتي تقف مقابلاً لعقدة أوديب الاغريقية التي تأسس لقتل الأب، ومتشابهة لعقدة "اليكتر" وشقيقتها "اورست" لقتل الأم. وقد تم إكتشاف هذه العقدة أثناء قراءتي لليالي لأجل الدراسة في تسعينيات القرن الماضي(1).

وتطبيقاً لهذه العقدة، درست في كتابي ذاك رواية نجيب محفوظ "السراب" إستنادا على هذه العقدة ذات الجذور العربية، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك تطابقاً بين شخصية بطل "السراب" كامل رؤبه لاظ، وبين بطل الحكاية "جودر"، من حيث التحرر من سلطة الأم بعد قتلها "مجازا"، والعيش كشخصية سوية في الحياة بعد التخلص من تلك السيطرة.

في هذه الدراسة سنقدم تحليلاً لحكاية "ما هي الحقيقة؟" التي وردت في كتاب "حديث مع الكواكب/ص49" للكاتب توفيق الحكيم مع عقدة "جودر" لنعرف مدى تطابق البطلين وهم يتخلصون من سلطة الأم، نفسياً واجتماعياً، ولكي نقرأ الأسباب التي دعت البطل لقتل الأم حقيقة لا قتل شبحها. اذ يتنوع القتل في الروايات حسب توجه وذائقة الكاتب.

ان قتل الأم في حكاية الليالي "عقدة جودر" يأتي بشكل مجازي، وليس على الحقيقة، كما بينا ذلك في دراستنا لها. اذ أنه في حكاية الليالي يقتل "جودر" شبح أمه الذي يلاقيه تحت ماء النهر خلف الباب السابع(2)، وعند مقتلها "ضربها بالسيف" ينفتح أمامه مكان الكنز الذي من خلاله يصبح ثرياً، ويتزوج من ابنة الملك.

في أسطورة"جودر" يقول التاجر المغربي لجودر:((اعلم أنني متى عزمت ألقيت البخور نشف الماء من النهر وبان لك باب من الذهب قدر باب المدينة بحلقتين من المعدن فانزل إلى الباب واطرقه فإنك تسمع قائلاً يقول:من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف أن يحل الرموز؟ فقل أنا جودر الصياد ابن عمر فيفتح لك الباب ويخرج لك شخص بيده سيف ويقول لك: إن كنت ذلك الرجل فمد عنقك حتى ارمي رأسك،فمد له عنقك ولا تخف فإنه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصاً من غير روح وأنت لا تتألم من الضربة ولا يجري عليك شيء. وأما إذا خالفته فإنه يقتلك.ثم إنك إذا أبطلت رصده بالامتثال.فادخل حتى ترى باباً آخر فاطرقه يخرج لك فارس راكب فرس وعلى كتفه رمح فيقول:أي شيء أوصلك إلى هذا المكان الذي لا يدخله أحد من الأنس ولا من الجان؟ويهز عليك الرمح، فافتح له صدرك فيضربك ويقع في الحال فتراه جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك، ثم ادخل الباب الثالث يخرج لك آدمي وفي يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس فافتح له صدرك ليضربك ويقع قدامك جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك ثم ادخل الباب الرابع واطرقه يفتح لك، ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك ويفتح فمه ويريك أنه يقصد أكلك فلا تخف ولا تهرب منه،فإن وصل إليك فأعطه يدك فمتى عض يدك فإنه يقع في الحال ولا يصيبك شيء ثم اطرق الباب الخامس يخرج لك عبد أسود ويقول لك من أنت قل له أنا جودر فيقول لك إن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس،فتقدم إلى الباب وقل له:يا عيسى قل لموسى يفتح الباب، فادخل تجد ثعبانين أحدهما على الشمال والآخر على اليمين، وكل واحد يفتح فاه ويهجمان عليك في الحال،فمد إليهما يديك فيعض كل واحد منهما في يد وإن خالفت قتلاك ثم ادخل الباب السابع واطرقه تخرج لك أمك وتقول لك مرحباً يا ابني أقدم حتى أسلم عليك فقل لها خليك بعيدة،اخلعي ثيابك.فتقول يا ابني أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية،كيف تعريني؟ فقل لها إن لم تخلعي ثيابك قتلتك. وانظر جهة يمينك تجد سيفاً معلقاً، فخذه واسحبه عليها وقل لها اخلعي فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تشفق عليها حتى تخلع لك ما عليها وتسقط،وحينئذ تكون قد حللت الرمز وأبطلت الأرصاد،وقد أمنت على نفسك، فأدخل تجد الذهب))(3).

***

ملخص حكاية"ما هي الحقيقة؟":

أم مزواجة تعيش مع ولديها، احدهما طبيب يعيش بعيدا عنها، والآخر وكيل نيابة يعيش معها، بعد موت الزوج تتزوج من شخص ثانٍ، وبعد فترة تطلقه. وكان عند الابن وكيل النيابة موظف شاب يأتي بالملفات له في بيته، تتعرف عليه وتغريه، ثم تقنعه بالزواج منها، ويتزوجان. يترك ابنها البيت ويسكن في الفندق"تبادل أدوار". بعد فترة يخبره زوج أمه الشاب انها قد ماتت، ويأتي هو وأخوه الطبيب إلى بيتهم، فيعرف الطبيب ان أمهم ماتت مخنوقة، "مقتولة" فيحاول الابن الطبيب ان يخبر الشرطة، إلا ان الابن وكيل النيابة لايوافقه، لأن في ذلك فضيحة لهما. بعد فترة تصل رسالة من الزوج إلى الابن وكيل النيابة تخبره انه هو الذي قتلها، يقول في هذه الرسالة: ((أنا منذ كنت مرؤوسا لك كنت أشعر بضآلتي وتفاهة قدري إلى جانبك...هذا الشعور بالمهانة والضعف هو الذي جعلني أستجيب إلى نظرات والدتك(...)وتوثقت العلاقة بيننا (...) وتصورت في تلك اللحظة ارتفاع قدري في نظر نفسي ونظرك ونظر زملائي يوم أصبح زوجا لوالدتك. كان هذا طبيعيا. فما أظنك كنت تطيق ان ترى بعينيك كيف استطعت السيطرة بقوة شبابي وفتوتي على أمك التي عليك احترامها وتقديسها..وكنت أعرف ان اليوم الذي تتراخى فيه قوتي البدنية هو اليوم الذي تتراخى فيه قبضتي على أمك. وكانت هي تعرف ذلك(...)إلى أن جاء اليوم الذي خشيته. فقد أفرطت في استنزاف قوتي ولم أستطع ان أشبع رغبتها، فإنهالت علي تقريعا، وصارت تقول لي كل ليلة: "يا خيبتك يا خيبتك" فما تمالكت وصحت بها "اخرسي اخرسي" وعاد لي الشعور بالمهانة، وكاد مقامي في البيت يهبط إلى مقام الخدم، وتعاطيت بعض الوصفات، ثم حاولت معها محاولة اخيرة باءت أيضا بالفشل. وضحكت هي ضحكتها المستهزئة.. وانفجرت بالسباب الفاحش والطعن في رجولتي. فطار صوابي ووضعت كفي على فمها لأسكت صوتها الذي يرن في أذني بأفضع ما يذل الرجل، وعضت هي بأسنانها اصبعي، فأطبقت بكل قوتي على ذلك الفم الذي لا يريد السكوت، إلى ان سكتت فعلا، ووقفت معه كل حركة في جسمها (..) تزوجت ثانية وانجبت بنتا وولدين، (..) تخرجت البنت طبيبة تعمل في أحد المستشفيات وتزوجت طبيبا، أما الولدان فاحدهما اليوم مهندس يعمل في احدى الشركات والآخر، يا للمصادفة، وكيل نيابة!(...) انها سعادة ما كنت لاستحقها)). ص85 -91

هذا ملخص قصير للحكاية التي يرويها الحكيم، ومن خلال دراستها على ضوء عقدة "جودر"سيتضح لنا كيف تنهض هذه العقدة في تصور الدوافع التي أدت إلى قتل الأم، والتخلص من سيطرتها، والفوز بالحياة والسعادة.

***

الدراسة والتحليل:

الحكاية هذه تنهض على شخوص ثلاثة، هم: الأم. الابن. الزوج الشاب.

الأم هي محور الحكاية وشخصيتها الرئيسية، تتزوج من رجلين بسبب رغبتها القوية في الجنس، وهذا أمر مهم. أما الرجل الثالث، الموظف الشاب الذي يعمل عند ولدها وكيل النيابه، فهي توقعه في حبائلها، لما رأت فيه من قوة شبابية ستغنيها عما تبحث عنه. وبالمقابل نجد هذا الشاب وجد في هذه الزيجة الراحة الاقتصادية، والاجتماعية، والمكانة العليا التي ستخرجه من مكانته الدنيا التي كان يعيشها. فها هو يقول في رسالته لابنها وكيل النيابة:((كنت أحس في نفسي الرضا والراحة والتلذذ ان استطعت غزو قلب هذه السيدة العظيمة والدة رئيسي.(...) وتصورت في تلك اللحظة ارتفاع قدري في نظر نفسي ونظرك ونظر زملائي ومعارفي يوم أصبح زوجا لوالدتك. وتم لي ذلك، ودخلت بيتك زوجا وسيدا مطاعا)).ص87

ولكي تبعد الحكاية عن نفسها امر يعتبره الاسلام محرماً، وهو الزنا بالمحارم، جعل الراوي الشاب من خارج العائلة، فتبادل الابن مع الشاب الأدوار.

أخذ هذا المرؤوس "المجرم كما وقع رسالته" دور الابن في علاقته مع الأم/ الزوجة، لفارق العمر بينها وبينه، وكذلك العيش في كنفها، لأن ابنها الحقيقي ترك الدار إلى الفندق، فظل الشاب/الزوج والمرأة فقط، كما كانت سابقا تعيش هي وابنها وكيل النيابة.

إلا ان الأمور لم تجري كما كان يحب، اذ خبت قوته الجنسية فيما هي تريد المزيد، فتصل الحال بها إلى أن تعيّره، يخنقها، فتموت.

إذن أصبح الزوج في الحكاية كالابن، والأم/ الزوجة التي تصيح به (يا خيبتك يا خيبتك)، ولكي يتخلص من هذا العار الذي لحقه بانحلال قواه الجنسية، عليه قتلها، لكي يعود منتصرا إلى الحياة، ويعيش بسعادة. وهكذا يتخلص منها بقتلها. وتعود له السعادة، فيتزوج، وينجب ولدين وبنت يعملون في وظائف مرموقة، انه التخلص من سلبيات الحياة، واكتساب ايجابياتها.

رواية السراب تعود إلى مصدرها الأساس وهو الواقع الديني والعرفي العربي في أن تبعد الابن من زنا المحارم، فتجعله يتزوج من فتاة تشبه أمه في الخلقة والاخلاق، فلا يستطع ممارسة الجنس معها، وبالمقابل يمارس الجنس مع مومس مسنة وقبيحة بالعكس من أمه، إلا انها تطابقها في السن، فينجح في ذلك، على العكس من فشله ليلة الدخلة مع زوجته التي تشبه أمه، أي تنقسم الأم عند "كامل"إلى قسمين أحدهما القسم النضر والجميل وتمثله "رباب" زوجته، والثاني تمثلة المومس المسنة "عنايات".

عندما تموت الزوجة جراء عملية غير موفقة، يقول لأمه كلاماً جارحاً وقاسياً، فتطلب منه أن يرحمها من هذا القول القاسي، فيما كان هو يؤكد مع نفسه قائلاً: (ولكني لم أرحمها) ص353. وقبل أن يتركها يخبرها بقراره الأخير: (اشمتي ماشاءت لك الشماتة، ولكن إياك أن تتصوري أننا سنعيش معاً. انتهى الماضي بخيره وشره ولن أعود إليه ماحييت) ص354. يهجرها لتموت.

أما في الحكاية التي قدمها الحكيم، فإن الابن هو الذي يجسد شخصيتين فيها، هي شخصية الابن، وشخصية الزوج، تماهي الزوج الشاب بالابن للاسباب التي ذكرناها، كما اخذت الأم في السراب شخصيتين، أحداهما شخصية الزوجة الجميلة، والأخرى شخصية "عنايات" المومس، وكل هذا التجسيد هو بالتماهي بين الزوج والابن في حكاية الحكيم، وبين الأم والزوجة والمومس في رواية محفوظ.

ان ترحيل الابن، وكيل النيابة، إلى ان يكون هو الزوج الشاب، مرده هو هذا الفيتو الاسلامي على العلاقات الجنسية غير الشرعية، وهذا مزروع في لاوعي الكاتب "الحكيم" نفسه، كما في لا وعي جميع كتاب الرواية العرب المسلمين.

ان هذا التماهي "أو الترحيل بين الشخصيات" ليس المقصود منه هروب الدارس في هذه السطور من عدم توافق الشخصية الرئيسية مع "جودر"، بقدر ما هو نوع من المخاتلة التي يمليها علينا الواقع الاسلامي، الاجتماعي والعرفي، هذا التماهي الذي يوصل عقدة "جودر" إلى ان تكون في الرواية والحكاية خاضعة للتطبيق، وهذا الاجراء خاص بمنهج الدراسة، وليس له علاقة بنص الرواية أو الحكاية.

ان ما تريد أن تصل له الدراسة هو ان الحكايات العربية كما في "ألف ليلة وليلة"، التى أغلبها أساطير، قد أنتجت شيئاً مثل ما أنتجته الأساطيرالاغريقية من عقد إلى الآن تستخدم في مجالات اجتماعية ونفسية وأدبية، وهذا الأمر ليس بسبب عقدة الخواجة التي يتهم بها البعض من الدارسين حين الحديث عن امر عربي موجود في الحضارات أخرى، وانما هو موجود فعلا في حضارتنا التي انتجت الأساطير والحكايات.

ان عقدة "جودر" تقابلها عند الاغريق عقدة قتل الأم المسماة عقدة اليكترا أو أورست، اما في الثقافة العربية فإن هذه العقدة ستكون في متناول الدارسين والمعنيين فأطالبهم ان يستخدموها في مجال علم النفس، ومجال الأدب خاصة، ليكون هناك تلاقح بين الحضارات.

الهوامش:

(1) نشرت كتاب عن حكايات الليالي بعنوان (ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية - دراسات/ ط1- اتحاد الكتاب العرب- دمشق-2000. والطبعة الثانية مزيدة ومنقحة- معهد الشارقة للتراث- الشارقة- 2019. والطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة-دار الورشة- بغداد - 2020.

(2) للرقم سبعة رمزية كبيرة في الحضارات العالمية القديمة وقد تحدثت عن ذلك في كتابي (تجليات الاسطورة - قصة يوسف بين النص الإسطوري والنص الديني- دار ابن النفيس- الاردن – 2021).

(3) الف ليلة وليلة ص975- حكاية"جودر الصياد ابن عمر وأخويه".

قراءة في قصيدة موفق ساوا

(يا قارئةَ أحزاني .. ما عدتُ أطيقُ زماني)

بقلم : زينب حداد/ تونس

تقديم

تعرضت سابقًا من"العراقية الاسترالية" إلى خاصية التجربة الشعرية للدكتور موفق ساوا وقد استوقفني فيها صدق المشاعر والتلقائية في التعبير والتصوير، وكثافة الحركة التي تجعلها قريبة من الدراما الشعرية.

ووعدتُ أن أدعمَ النظري بالتطبيقي وأقدم قراءتي الشخصية لإحدى "شخبطات" كما يسميها ساوا ...

وهي:

"يا قارئةَ أحزاني ...
ما عدتُ أطيقُ زماني".

التصدير

لأني غريب
لأن العراق الحبيب
بعيد، وأني هنا في اشتياق
إليه، إليها...أنادي: عراق.
حجار ندائي، و صخر فمي
و رجلاي ريح تجوب القفار

بدر شاكر السياب

ستة مقاطع وسبعون سطرا، تلك هي قصيدة "يا قارئةَ أحزاني ... ما عدتُ أطيقُ زماني". للشاعر موفق ساوا أو إذا استعملت عبارته "شخبطة" فكاتب وفنان عراقي حمل الحروف أوجاع الغريب عن الوطن، حملها عشقه وحنينه الذي لا يرتوي إلا داخل العراق، فالنفس مشرعة القلوع في ثنايا الحروف تعبر المحيطات و"القفار" بحثا عن المستقر والاستقرار وتخترق حجب الزمان استقراء للغد وبحثا عن السكون والأمان...عن الوضوح والتوازن...

سبعون سطرا مفتاحها النداء "يا قارئة..." المفجر لأفعال الأمر، أسلوبا إنشائيا كذلك، في معنى الالتماس (بقرائن لفظية كقوله : أستحلفك أو يا سيدتي)، وأفعال الأمر تتكرر وتتراكم وتشيع في القصيدة حقلا معجميا يتردد فيه فعل "الأمر اقرئي.

عشر مرات واسم الفاعل "قارئة" خمس مرات ثم تتوالد هذه الصيغ عن حقل دلالي يضم الأفعال (اشرحي، فسري، قولي، حلي عقدي، احصي، لتكشفي....)، فالقصيدة تدور حول ذاتها إذ يكتسحها معجم القراءة، ومن معاني القراءة الولادة (تقول العرب: قرأت الناقة أي ولدت، لسان العرب).

فما الذي يطلب الشاعر ولادته، ويحلم بالحصول عليه من خلال الدوال السابقة؟

وهل بين البنية الدائرية المغلقة للقصيدة ونفسية الشاعر تطابق وتماثل؟

يسيطر عليك ـ وأنت تقرأ القصيدة ـ إحساس بالضياع يمر إليك من لفيف لا يفترق هو لفيف الأسلوب الإنشائي و الصورة الشعرية والأجراس... إحساس تتقاسمه مع الشاعر (وقد بينا في المقال السابق قوة الصدق المؤثر في قصيدة ساوا) فهو قد ضيع "بوصلة الأوطان"، وهو "التائه في مدن الأحزان، التائه عن ذاته وصفاته" أشكاله وألوانه "التائه عن موقعه الزمكاني والنفسي... انتفت عنده الفواصل بين "الخير والشر، بين الإنسان والشيطان"، بين "الجنة والنار"، حالم ولا نوم، "سكران ولا خمر"... يعيش معلقا بين الأرض مأساة والسماء حلما... تشيأ فمات فاستنطق الغيب (كف الزمان) يتشمم بحثا فأغلقت أمامه السبل فتقوقع على حزنه مدحورا "يا قارئة أحزاني ... ما عدت أطيق زماني".

وكيف لشاعر "كسروا قلمه ومزقوا ديوانه" فاغتالوا أفكاره أن يطمئن به المقام؟

هل لشاعر قطعوا لسانه واغتصبوا وطنه حياة؟

إن "موت الكرام حياة في مواطنهم
فإن هم اغتربوا ماتوا و ما ماتوا"
(علي الحصري، القرن الخامس هج شاعر قيرواني، رثى القيروان بعد زحف بني هلال عليها وتدميرها).

هذه الوضعية المتأزمة حولت الموسيقى الشعرية الى أنين مسترسل ذلك أن اهم مكون للكلمات ولخواتم الأسطر الشعرية هو الكسرة الطويلة، جرس الألم والأنين.

نخلص إذن إلى أن بنية النص في "قارئة كف الزمان" قد تضافرت مع الأسلوب الإنشائي الطلبي والحقل المعجمي وكذلك الجرس الإيقاعي لتصويرمختلف المشاعر التي تنازع شاعرا اغترب عن وطنه وأصبح صوت كل غريب ثقلت عليه وطأة الفراق وانسدت آفاقه فطفق يبحث عن الطمأنينة بالوسائل الخرافية، باللجوء إلى "العرافة".

على أن تلك الأدوات الشعرية قد لعبت دورا آخر في النص ربما حاك خيوطه لاوعي رجل المسرح والدراما عند موفق ساوا فتحول النص الشعري إلى مشهد درامي...

إن الخطاب المباشر بين المتكلم الذي هو الشخصية الرئيسية، والمتلقي/ العرافة يضفي على النص حركية هي أول ما يستقبل القارئ.

والشاعر أو الشخصية الرئيسية هي الممسكة بخيوط اللعبة المسرحية فهي تختار الموضوع (واحد لا يتعدد) والأفعال التي ستؤديها الشخصية الثانية وتوجه الى طريقة تنفيذ الفعل على ركح متخيل إما بضبط الطبقة الصوتية (تنخفض مثلا عند قوله اقرئي بلا شعوذة وتعويذات... ترتفع في قوله أطلقي صرخاتك، طبلي ... صوت عادي في قوله مثلا اقرئي، فسري، قولي...) أو التعبير الجسماني (حركة الجسد ما بين اقتراب وابتعاد: قراءة الكف و ملامح الوجه وتقاسيم الجبهة...، ارمي حبات السبحة أو طش النقود أو تدروشي...)، وهذا التعبير الجسدي يقتضي طبعا تعبير الوجه.

ويؤثث الركح ببعض الأدوات المساعدة على أداء الفعل (السبحة، النقود، الفنجان، الطبل، المبخرة)...النص قابل (لمَسْرَحَتِهِ) اي للتحول إلى مشهد مسرحي يمكن إخراجه على الركح الخشبي ولكن القارئ سيعيش تأثير القول لواعج وأوجاعا فإذا انفصل عن الشاعر يمكن أن يعيش النص فرجة مسرحية...

فهل يمكن بعد هذا أن نتحدث عن مجرد "شخبطة" بريئة بلا هدف أو دلالة، بلا رؤية ولا رؤيا؟\

...نص القصيدة في الصفحة التالية

يا قارئةَ أحزاني ... ما عدتُ أطيقُ زماني

موفق ساوا نيسان 2011 سيدني

يا قارئة كفِّ هذا الزمان
أستحلفكِ بدينِكِ (الشيطانيِّ)
أن تقرئي كلَّ أفعالي
وتشرحي حالي ومالي
اقرئي كلَّ خطوطي وخطواتي
اقرئي تعاريجَ خارطتي
وباطنَ كفي وكل اتجاهاتي

اقرئي، يا سيدتي، تقاسيمَ جبهتي
وملامح وجهي
وماذا يضمرُ غدي

اقرئي، بلا دجلٍ ونفاقٍ
بلا بخورٍ وحرملٍ
وبلا شعوذةٍ وتعويذاتٍ
فأنا لكِ أنصتُ لعلَّكِ
تُفَجرين مُدنَ أحزاني
وتكنسين عن قلبي كلَّ أوجاعي
وترشدينني إلى بَوصَلة الأوطان
اقرأ أيها الفتاح الفال
كلَّ ما تعرفه وما لا تعرفه
من رأسي إلى أخمص قدمي
واجعل خرافاتِك كالميزانِ
اكذب كما تشاء
اقذفني بأبشع الأوصاف

خيِّرني بين (الشيطان) و الإنسان..!!
اقرئي يا سيدتي وقولي ما شئتِ
فإنَّكِ لستِ كباقي النساءِ
خذي حباتِ السبحة وارميها الى السماءِ
أطلقي صرخاتك وتدروشي
افردي حباتِ سبحتكِ
وسمِّي بكل (الانبياءِ)
طبِّلي وقولي ما شئتِ كالببغاء
فأنا ما عدتُ أصدقُ خرافاتِكِ
وتخريفات هذا الزمانِ

يا قارئة الغيب، اقرئي أفكاري
يا أيتها الغجرية خذي نقودي
و(طشيها) أرضا لتكشفي طالعي
و أين أقف أنا من الجنة و النار
و ماذا جرى و ماذا سيجري لي
في هذا الزمكان
يا قارئة الغيب، اقرئي أشجاني
نَشَفَ بعد أن قلبتُ فنجاني
ألا ترينَ فيه بعض خطوطي
و أشكالي و ألواني
اقرئي وفسِّري كلَّ أسراري
وَ حلِّي عُقَدَ ألغازي
أَحصِي أنفاسي
فسِّري مَغزاها وظاهرَها والباطنِ

ربما تصيبُين، أو ربما تخطئين
فلا تهزي روحي وكياني
و لا توقظيني من أحلامي
فأنا في النهاية ثملٌ بلا خمرٍ
أمامَكِ ابدو كالسكرانِ

ياقارئةَ طالع هذا الزمان
لا تكذبي عليَّ
قولي ما شئتِ، فقولي
إنَّكِ تعلمينَ عِلمَ اليقين
لوني و دمي و اسمي و عنواني
و طول وريدي و شرياني
و تعلمين في زمن الليل
ختموا بالنار على جبيني
بأسماء الانس و الجان
كسروا قلمي و مزقوا ديواني
و خيروني ....
ما بين أن يذبح وطني أمامي
أو أن يحكم علي بالإعدام
فاخترت الثانية
فبقي الوطن يبحث عني
في كل الأوطان
فلا تضحكي علي
يا قارئة أحزاني
ما عدت أطيق زماني.

هَمَساتٌ
مَنقوعةٌ بالفُلفُلْ !

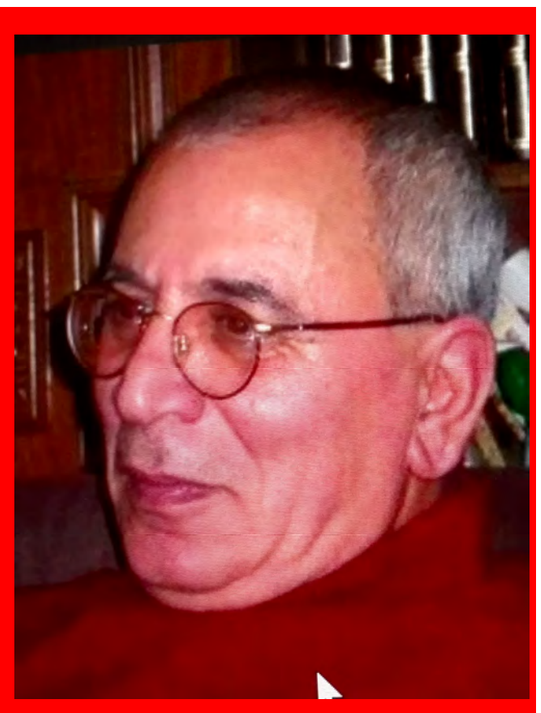

يحيى علوان/برلين

فِطنَةُ وردة
كي لا يهتدي أحدٌ إليها فـ"يقصِفَ رَقَبَتَها " ،
تأبَّطَتِ الزهرةُ عِطرها .. خبَّأته في التُوَيجِ ، وإستراحتْ ..!!

عِتاب
عَتَبي عليكَ يا سبارتاكوس أَنّكَ وَحّدتَ العبيدَ ، دوننا ..
نحنُ عُبّادُ "الآلهةِ" و"النصوصِ" والشعاراتِ "المُلثَّمَة" !!

مَنحوس
إذا سار أمامهم ، قالوا " يريدُ تمييز نفسه عنّا فينصّبَ نفسه قائداً.."
إذا سارَ خلفهم ، قالوا ،" لابُدّ أنه يفكر بعصا الراعي ، كأننا قطيع يسوقه "..
إذا سار وسطهم ، قالوا "مصابٌ بالبارانويا ، يتوهم هجوماً من عدوٍ لا وجودَ لـه "..
إذا سار خارج الصف ، قالوا " عديم ذوقٍ لا يريد أن يكون مع الجماعة "..!!

خروف
كان هناكَ خروفٌ يحيا راضياً في حظيرته ، حتى جاؤوا ذات مرة وإنتزعوه منها عنوة . راح يصرخ ويرفس مخافةَ أن يذبحوه.
إزداد رعبه عندما شدّوا وثاقه وطرحوه أرضاً ....
.....
جزّوا صوفه وتركوه!
أنتشى، غيرَ مُصدّقٍ أنه ما زال حيًّا!
راح يركض ويقفز بخفة ومرح.

مضت فترة من الزمن ، حتى جاؤوا وانتزعوه من الحظيرة مرة أُخرى.
لَمْ يَفعلْ شيئاً ظناً منه أنهم سيجزّون صوفه....

جَزّوا رقبتَه!!...
وهكذا أخطأ الخروف مرتين!!

حساب
لم يتعلّم الرب من الحساب إلاّ الرقم 1..
وهكذا صارَ واحداً أحدا .. !
أغلقَ بابَ الحوار ، ألغى البقية ...
وختَمَ على التعددية بالشمع الأحمر !!
وتركَ لنا شرورَ الفردية والدكتاتورية !!

إنْ جِعتَ ..!
إنْ لَمْ تَجِدْ ما يُنجِدُكَ منْ جوعٍ ،
لا جُناحَ عليكَ إنْ أكلتَ الدجاجةَ ، التي تَبيضُ ذهباً !
فما أنتَ إلاّ سَليل قومٍ عَبَدوا آلهةً صنعوها من تَمرٍ ،
ولَمّا ضَرَّهمُ الجوعُ ..... !!

زُهد
نرضى بالقليل ، ليس قنوطاً!
بَلْ لأنَّ فائضَ الشبعِ من فائضِ الجوع ..
وفي كلا الفَيضينِ مِحنَة !!

ممكنات السياسة!
مرة سألتُ صديقي السي مصطفى:" يُقال أن السياسة فنُّ الممكنات . تُرى ماهي حدود الممكن ؟! "
رماني بنظرةٍ ثعلبية ، وقال: " أن تَعبُدَ الرحمان بطريقة لا تستفِزُّ الشيطان "!!
قلتُ :" ولكن كيف يمكن ذلك؟!"
قال :" الله غالِبْ ! دَبّر راسك !"

تحذير !
لا تسأل الله عن الطريق إلى الجنّة !
لأنه سيذُلُّكَ ، حتماً ، علَى أكثرها مَشقَّةً !!

شطارة ..!
*** ليسَ ضروريّاً أَنْ يكون المرءُ**
ذا ثروةٍ كي يُساند نضال الفقراء ..
إذ يمكنه أن يغتني من خلال هذا النضال !!
*** أَقاموا قصورَهم على رُكامِ أَحلامنا !**
*** ذو العينِ الكريمة يحظى**
بثقةٍ عمياء ... بينَ العميان !
*** إذَا كانَتْ صَرخَتُكَ نحوَ الحريّة**
تَحملُ خطّاً قواعدياً ، قُلها ولا تَهَبْ !!
*** تُخطِيءُ إنْ ظَنَنْتَ أنَّ خِدمَةَ سَيِّدَينِ في آنٍ ،**
تُحسَبُ مُضاعَفَةً لأغراض المعاش (التقاعُد) !

العبيد
*** سَيءٌ بما فيه الكِفايَة أَنْ يَكونَ لسَيِّدٍ كَثرَةٌ منَ لكِنَّ الأسوأَ أَنْ يكونَ لِعَبدٍ أَسيادٌ كثيرونْ !**
*** المتفائلونَ يدفعوننا نحو التشاؤم ،**
لأنَّ توقعاتهم نادراً ما تتحقّق .
أما المتشائمون فيمنحوننا بعضاً
من الأمل عندما لا تتحّق توقعاتهم !
*** مُتفائلُ ميئوسٌ منه ، كالديكُ**
يصدَحُ حتى للصباح ،
الذي يُذبَحُ فيه ..!

*** يُقالُ أنَّ الديناصورات هَلَكتْ لأن دماغها لـمْ يكن متطوراً ...**
الإنسان يحاول عكس ذلك تماماً !!

عدلٌ !
*** محاكمةٌ إنسانية جداً !**
بلغَ فيها التعاطف مع المتهم حداً
تطوَّعَ فيها الإدعاء العام للأعتراف بذنبِ الضحيّة
نيابة عنها !!
*** مُذنبٌ مَنْ يُحكَمُ عليه وهو بريء ..**
إذ فَوَّتَ على نفسه فرصةَ إرتكابِ
جُرم .. !!

"مُقايسات"!
*** الأصولية الدينية والسلفية " موضة العصر "...**
لا تبتأس ! قد تكون الآلهة إصطفتكَ مُلحداً !
*** إذا خُيّرتَ بين الآلهة والشيطان ...**
عليكَ أن تنتصِرَ للأضعف !!
*** إرهابُ الإستهلاكِ أَحبُّ إليَّ من الإرهاب السياسي ..**
فأيّ مسحوقُ غسيلٍ أفضلُ لديَّ من غَسْلِ الأدمغة !!
*** نحنُ نرتكبُ الخطأ عن غَيرِ عمدٍ ..**
أما الآخرونَ فيرتكبونه عن غَباءٍ ..!
*** ممثلو شركات التأمينِ يبيعونَ بوليصات تأمين ..**
ممثلو شركاتِ السياراتِ يبعونَ سياراتٍ ...
وممثلو الشعب ...؟!!
*** باعَ نفسه لكلا الطرفين،**
من أجلِ التوازنِ وعدم الإنحياز !!

كريم عبدالله شاعرُ القصيدة النثريّة

يحملُ اعباءَ قصيدة النثر فوقَ تلالِ الشاعر محمد الماغوط

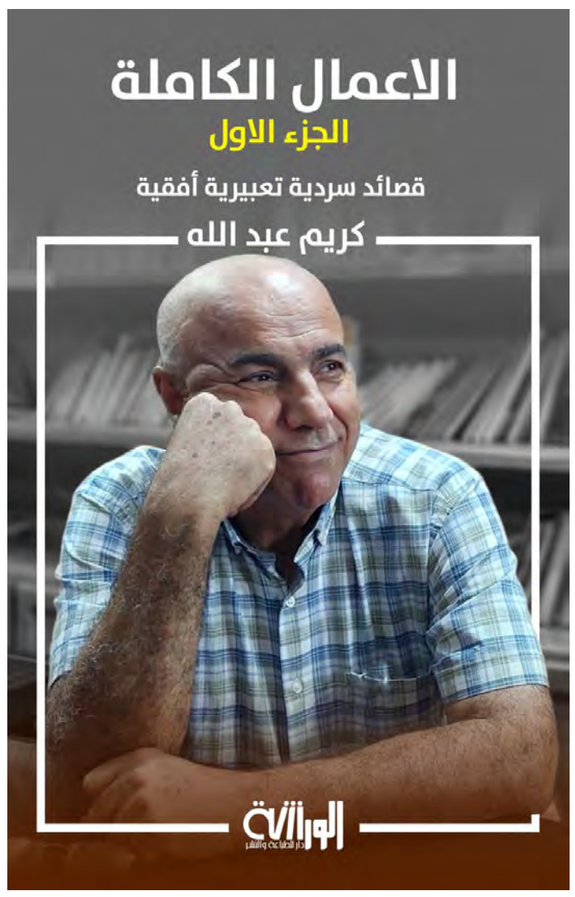

بقلم الشاعر والناقد : حامد حسن الياسري بغداد 15/ 7 / 2022

قراءة أولية في الأعمال الكاملة لكتاب (الجزء الأول للشاعر كريم عبدالله) مِنْ قصائد سرديّة تعبيريّة افقيّة, الصادرة عن دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع في بغداد لسنة 2021.

أشتمل الكتاب من الجزء الاول على خمسة دواوين نثرية و 176 قصيدة نثرية. قصيدة النثر هي وحدة متكاملة تسعى الى التحرر من أنماط التفكير الجاهز والنزوع نحو التكثيف ورؤية جديدة للعالم والحياة, وقصيدة النثر هي خطاب شعري جديد ومتجدد بلا شكّ, وهي استجابة لضرورات البحث عن شكل شعري متحرر من وصايا الاشكال, وهذا الشكل لا يلتزم بأي نوع من أنواع الايقاع الخارجي الذي يمثله العروض والقافية, وليس من مظهر إيقاعي منظم لقصيدة النثر, أنّ أهم شروط قصيدة النثر كما يقول الشعراء والنقاد هي (الايجاز, التوهّج, والمجانية), وهي تعتمد الوصف المكثّف, وكمية المعنى المكتنز بالدلالة والوصف المركّز على قيمة الايحاءات المتماسكة في عبارات متوالية مكتظة بالكلمات الهامسة والمليئة بالموسيقى الداخلية, ومحمّلة بالسردية والتعبيرية والفواصل والوقفات بين الجمل, وتتخذ من الحِكَمْ والجمل المتوالية مقاطع منفصلة لتأثيث بناءها بمشاعر وأحاسيس مرهفة, منبثقة من أعماق ذات الشاعر وقدرته على بثّ الانزياحات, وهي لا تعتمد على توظيفات بصرية إيقاعية تستطيع أن تظهر المعنى العميق داخل نفس الشاعر, وإظهاره بصورة شعرية مذهلة.

كما أنّها تستعمل اللغة التعبيرية التي تتموضع في رؤية العوالم الداخلية للذات الشاعرة, وتحاول أن تترك الفواصل والنقاط في جسدها الشعري, أنّ أغلب عبارات قصيدة النثر تتوالى بشحنات ايحائية جاذبة للروح بدلالات تفصح عن معان متوالية محمّلة بعذوبة الشحنات الدلالية والتعبيرية والسردية في تشكيل بنائي وايقاع داخلي رمزي حاملا للأنا الذاتية. وليس هذا كلّ النثر, بل أنّ الشاعر (كريم عبدالله) راح الى أبعد من ذلك, فطوّع اللغة, وطوّر السرد والايحاء في تداخلات تعبيرية ساخطة ومتهكمة في ايصال صوره وعلامات معانيه الى المتلقي بصورة أبوية حالمة بالجمالية, وتقارب الاحساس واللفظ, قابضاً على العبارات والجُمل بطريقة شعرية متقاربة من لغة ومفاهيم الشاعر (محمد الماغوط, وأنسي الحاج), وأمثالهم من كتّاب قصيدة النثر.

استطاع الشاعر أن يتحايث مع شعراء قصيدة النثر بكل مقارباتها السردية والفنية, واستطاع أن يرسم طريقته الحاشدة بأساليب تعبيرية افقية في صعود القصيدة النثرية, وبذلك فقد أختلف عن غيره من شعراء قصيدة النثر, فكوّن لنفسه أسلوباً وطريقة خاصة به في تناول المواضيع والاحداث التي تبلورها القصيدة الايحائية اللامعة في تخطيط مساراتها الابداعية والفنية, وكأنّه رسّاماً يتشكّل داخل اللوحات, لقد تمكن الشاعر (كريم عبدالله) من كتابة القصيدة النثرية بأسلوب اقرب الى الفهم والانتقاء من أقرانه من شعراء القصيدة النثرية, فهو متمكّن من هضم لغتها وبناءها ودلالات تكونها المعرفية والشعرية, واستطاع أن يتمدّد في داخل نصّها الايحائي والتكنلوجي الباعث على الغرابة والتفسيرية,.. مقطع نثري (السماء بعيدة, وهذا الوالي يقضم أضلعي, الشتاء فارغ إلاّ من بقايا أجنحة فراشاتي, وفي السماء السابعة تبقى الصحف مطويّة, مشتاق أن أجلس للكركرات الراقدة في أناء السلطة المعجونة برداء البراءة في سنوات كانت تتثاءب ببطء قادم, مشتاق أن أُدثّر القمر ببطانية تبعث الأمل..) ..قصيدة (الرجل الذي فقد فراشاته) ص 75.

(الليلة سينمو الفجر في نبضات الغبش, البارحة كانت تضاريس الليل تئنُّ في راحتيها, وذاك العطر يطرد غبار الشراشف, تموجُ بخاصرة النبع لوعة الضفاف, تترقرق التنهدات بقاع الاشتهاء, تتمدّد على سواحل عيونٍ أدمنت نوافذها, رذاذها المتناثر بظلّ هذا السعير, كلّ الألوان تتجمّع مرّة أخرى في منشورها..) .. قصيدة (تمسّدُ هذا القلق الوارف ص 67 . أنّ الابداع في العمل الشعري يتأتّى من قدرة الشاعر على هتك أسرار اللغة وتفتيت أكمامها ليستخرج ما بها من طاقات غنية كامنة في خلاياها وعلى قدر امتلاكه لطاقات قادرة على الاستثارة والتحريك وهذا أروع وأسمى غاية للشعر (لغة الشعر العربي المعاصر : عدنان قاسم - مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - الكويت / ط1 - 1988 ص16 .

والشعر هو كلمات ومفردات ينتقيها الشاعر من لغته ليصوغها صوراً شتى يتلقاها السامع الذي يكشف عن ثقافة عميقة الجذور بالتراق الانساني, اي أنّ الثقافة ذات حركة ابداعية تنتزع التعبير الاصل من قيود التقليد والجمود وأسر التقوقع لتنظر اليه حدثاً ابداعياً متطوراً ومتجدداً يحمل في إثنائه مستقبل ديمومته وخلوده, وعندما يتحرر من سلطته الزمن بمعناه الآني الجامد الى أنّات جديدة تصير لغة التعبير جسداً كونياً فنياً وارضاً عراقية خصبة, تطمئن اليها الصور الشعرية, فالنصّ صورة شعرية تختزل الواقع بلغة ابداعية بعيداً عن الترف والتعقيد والهامشية الباردة, بل هي منبع وليست مجرد أداة , ينبغي أن يبقى هذا المنبع صافياً, ومن هذا لابدّ لنا أن نعرف معنى الصورة, او الصورة الشعرية, لقد ورد لفظ الصورة على ألسنةِ بعض النقاد القدامى, وأقدم مَنْ وقف في هذا الشأن الجاحظ الذي استعمل مادة الصورة في مجال الادب وهو يتحدث عن الشعر بأنّه ضرب من النسج وجنس من التصوير .. (كتاب الحيوان : أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ - تحقيق عبدالسلام محمد هارون - مصطفى البابي الحلبي واولاد - بمصر ط2 1965 ص 3, ص 132.

وأراد بالتصوير هنا العملية الذهنية التي تصنع الشعر, فقد جعل الشعر قريناً للرسم, وأراد تقديم المعاني تقديماً حسّياً عن طريق الصياغة الفنية للألفاظ .. (أنظر: الصورة الفنية في الذات النقدي والبلاغي - د. جابر أحمد عصفور- دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت : ط2 1983 ص 256, ص 257. ومن الباحثين مَنْ رأى أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي قد سبق الجاحظ في إيراد الصورة في قوله (الشعراء أمراء الكلام, يصرفونه أنّى شاءوا, ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده, ومن تصريف اللفظ وتعقيده, ومدّ المقصور وقصر الممدود, والجمع بين لغاته, والتفريق بين صفاته, واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته والاذعان عن فهمه وإيضاحه, فيقرّبون البعيد ويبعّدون القريب , ويحتجّ بهم ولا يحتجّ عليهم, ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل..(منهاج البلغاء وسراج الادباء:حازم القرطاجني - تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة : دار الكتب الشرقية -تونس 1966 ص 143, ص144.

ويبدو أنّ هذه الاشارة منه الى سعة خيال الشعراء وقدرتهم في ابداع صيغ فنية قادرة على خلق التأثير في المتلقي من خلال التشبيه والتمثيل وأساليب البيان الاخرى . والخيال الشعري هو ما يميّز الشاعر عن سواه, لهذا عدّه كثيرون لغزاً من الالغاز ودعوا الى التعامل معه بشيء من الحذر (أنظر مبادئ النقد الادبي ص251. ويبدو أنّ هذا الملكة لدى الشاعر تبعث في الاخرين الرهبة لأنّها عندهم سرّ الشعر, وهو انما هو نتاج الخيال المبدع للشاعر, وبذلك صار خيال الشاعر رمزاً لعبقريته وقدرته الفكرية على ضمّ الاشياء وتأليفها في وحدة فنية لا تكون خارج البناء الفني للشعر, وقد عرّ الخيال بأنّه (القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحسّ)..(الصورة الفنية في التراث النقدي).

وهذا التعريف أولي للخيال بمفهومه الانساني العام, اذ ليس الخيال مجرد استحضار لصور غابت عن الحسّ, بل هو ملكة معقدة تنماز بعناصرها المتعددة وأشكالها المختلفة بما يجول الإلمام بالخيال وتعريفه أمراً صعباً, والى ذلك أشار (رسكين) بقوله (أنّ ملكة الجمال غامضة لا يمكن تعريفها, انما يمكن معرفتها باثرها)..النقد الادبي: أحمد أمين - مكتبة النهضة المصرية ط5 1983 ص1, ص34 .

لذا يمكن أن نعيد التعريف السابق للخيال تعريفاً أولياً يصلح للخيال بمفهومه العام, لأنّه يدلّنا على أن الخيال هو قدرة الانسان على أن يستذكر صوراً لأشياء غابت عن العين, وهو بذلك أقرب الى الذاكرة والتذكير منه الى الخيال بمعناه الادبي, فتذكّر الأشياء بدقائقها وتفاصيلها أمر مرّده الى قوة الذاكرة وهو ما يحتاجه الشاعر في تخيله, ولكنه ليس هو الخيال الشعري الذي نعنيه والذي هو قوة خلاّقة ومبدعة , ومن هنا فأننا نستطيع أن نقول أن الخيال هو القابلية والقوة التي يتمكن بها الانسان عرض الاشياء عرضاً مؤثراً مجسّماً مؤلفاً تأليفاً صادقاً بشكل منسّق منظّم (النقد الادبي- د. داود سلوم- مطبعة الزهراء - شارع المتنبي - بغداد 1967 ص- القسم الأول 73.

إذ يمكن أن نفرّق بين الخيال وبمعناه العام, والخيال الشعري, فقد يخلق الانسان صوراً ولكنها ليست منظّمة تنظيماً واعياً, وإنما تبقى مجرّد صور متناثرة لا رابط بينها, وقد يخلق صوراً منظّمة ومترابطة إلاّ أنها غير مؤثرة, فتفقد بذلك شرطاً من أهم شروط الانتاج الفني الا وهو التأثير, فالخيال الشعري على وفق هذا المفهوم, هو قوة مبدعة لأنّ الشاعر فيها يتناول معطيات الوجود وحقائقه ويشكّلها تشكيلاً فنياً مؤثراً يظهر لنا فيها قدرته الفكرية المتميّزة على ادراك الواقع ونقل هذا الادراك بأسلوب فني جميل, ولذلك قيل في تعريف الشعر بأنّه (سجّل لأحداث متخيلة مبدعة, ولكنه أكثر من هذا ينبغي أن توصف هذه الاحداث بأسلوب حيوي مقنع.. (منهاج النقد الادبي بين النظرية والتطبيق- ديفد ديتش- ترجمة د.م حمد يوسف نجم- مراجعة : د.احسان عباس -دار صادر- بيروت 1967 ص90).

وقد عبّأ الشاعر نصوصه النثرية توصيفات جميلة لمجريات الاشياء, وأحتفى بلملمة الهواجس والانعطافات الدلالية لأعادة أنتاج الوعي القرائي الذي يختزل الرؤى السائدة في استيعاب أحلامه ومقترحاته بخصوصيتها الانفتاحية, وهو يستمدّ طقوسه وسلطته اللغوية من نسغ نسيج الماضي التراثي المصدوم وصور الحاضر المتحولة لحظة بلحظة.

أنّ المصير هو أول المشاركين في بعثرة شعر المشهد المتصل باستدعاء فخامة اللغة واعادة الشأن الى المتن الواسع في المعاني والفضاءات الرؤيوية أزاء ارتقاء النصّ وانشغالاته المنضوية على فعل جديد, لترصين بلاغة المشهد النثري واستبدال ذات الشاعر بذوات اخرى... قادرة على تقديم منجزاً ابداعياً هونتيجة من نتائج الارادة الحتمية التي يتوخاها الشاعر لردم المسافات المعتادة بين العبارة والجملة الشعرية .. مقطع نثري (أنتِ أكثر رقّة أيّتها الحشائش الخضراء الفتية ترعشين الروح بنشوتكِ, يتموّج كالزنابق البنفسجيّة ذاك الفؤاد الصغير وتسبح أحلامه الفضيّة بقطرات الندى المتساقط من أوراق شجرة التوت الهرمة الغضّة بالروح البريئة, تحدّق بحنين, وتحرّكها ارض تحتضن مطراً خفيفاً يتسلّل في أخاديدها اليابسة, كم هو جميل أن ترقص الطحالب الزرقاء حين يطفح النهر بالمياه ويعزف القصب لحناً شجياً تسمعه سنابل القمح وهي تفتخر على سنبلة شعير نبتت بينها تشكو الغربة..!!) .. قصيدة (طفولة حالمة) ص104 .

أنّ تماثلات ارادة المعنى تغسل أدران حافات الحروف والعبارات داخل تماثلات النصّ السردي الذي يمحو رغبة تغييب المرئي في النصّ النثري , لذلك استطاع الشاعر من إمساك طرفي النصّ بتحليل التمثلات البنيوية للنصّ كي تبقى القراءة واعدة بالهمّ المدهش, وتحليل ما هو شعر ما بعد الذاكرة, أنّ الشعر يضيء عوالم الابهام وبإمكاننا تلمّس فكرة تعطيل المعنى بإزاء المشاهد المتراكمة فوق عتبات النصوص .. مقطع نثري (قناع أسود تسلّق وغطّى وجه الشمس, لمْ يالف الحياة كما هي, حين تعكّز على سيف مثلوم رافعاً رايته عالياً, يجرّ خراباً الى ما لانهاية, لذا لا ترى من ملامحه الا الليل , يتمرّغ فيه, والقمر الفضيّ لمْ يتبين وجهه, يكبّله برعونة, يتحسس ضوؤه, بفتوى تبيح الذبح, نأى النهار الطينيّ , ولمّا يستوحش الطريق, يغضّ الأمل وجعاً سامقاً من كلّ شعاع يبزغ في الازقّة مكشّراً نظراته, يئزُّ خلف الابواب المغلقة, خوف يتمرّى في الحيطان, الشوارع أصابها الضمور لا تسمع منها سوى الأنين على أشجارها, كلّ العصافير هاجرت تبحث عن أعشاش تتلمس عن نهار ابيض, مقبرة الاحلام هتك قدسيتها أكثر من غراب متسخ راح يغزل من جريد النخيل حصيراً يواري الأنين, فمَنْ ينشر الأغاني اذا هربت دهشة العشاق يطرّزها بسخرية غبار الخيانة..؟؟!).. قصيدة (راية سوداء في صباح مظلم) ص 106.

أنّ الشاعر في بعض قصائده يقدّم لنا فضاءً من ثقافة السرد القصصي الذي يتوالد منه النصّ النثري الجديد, فهو يبدو عبر نصوصه الشعرية ملتحماً بالجُمل والعبارات ذات الانزياح الواضح متمكّناً من وصفه للجوانب الزمانية والمكانية, وصفاً يجعل من العناصر المكونة لبنية النصّ علاقة بالواقع الشعري الذي يستطيع الشاعر أن يلحقه بصوره الكلية التي تمنح النصّ ثراءً بلاغياً يصبّ في إيقاظ المعنى وتشكيل الصورة الجمالية للشكل والمضمون..مقطع نثري (أنظرْ كيف تستفزّ ذاكرتي أطناناً من الشظايا تمطرها السماء, يا لهُ من نهار موحش.!, خلف السواتر تنام الاحلام, هل رأيتم كيف تنزوي صور العشيقات في الجيوب المثقوبة , أقدام المتمسّكين بالأرض يتملّكها الرُعب في حقول الألغام, كانت هناك راجمات كثيرة تأتيك بالموت, ما أقسى قذائفها تجهل سرّه حين تتساقط بوحشية على الملاجئ الترابية, وتتساءل في نفسك علامَ كلّ هذا الخراب..؟!, أكاد اسمع أدعية الامهات خلف تلك الابواب الموصدة ويغلّف قلوبهنّ الرقيقة حزن عميق كلّما تغيب الشمس, كلّ شيءٍ يئنّ فوق هذه الارض)..قصيدة (ذات نهار موحش) ص87.

كذلك أنّ لغة الشاعر قادرة على تشكيل صوره المتشابكة ونصّه المملوء بالسرد والتصورات الشعرية والخواطر الفلسفية, وهو يعتمد كذلك على جمله القصيرة والبرقية ويشحنها بألفاظه الجامحة ورؤيته المتعلّقة بالتأويل, ويظلّ هائماً دون جدوى يركض وراء فلسفة الذات وأحلام الموتى صائحاً من ذلك جدلية يرمز للموت فيها والحياة, وهو بذلك يعيدنا الى مملكة الشعر التي تتجلّى في مستويات عرش الحرف الذي يملكه الشاعر في عالم يتنامى فيه الاختلاف مقابل الائتلاف..مقطع نثري (أُطأطأ رأسي تحت سيف الهزيمة, ماء وجهي أمسحه على مقابض المنافي, كؤوس الاحلام مصلوبة على السواقي, والشعارات محدودبة, عالقة بين فتات الهزائم مركونة, الظلام يقلّم أجنحة الأزقة المنكوبة بالهذيان, للزنزانة الممتدة على وجه التاريخ أريج عفن والعشيقات من وراء النوافذ العالية, يرسلنّ الجدائل, الغربان تتوعد مزارع القمح, مرشّات السماء عاطلة مخصية, رماد الزفرات يسمّد آذان الجدران, فَمَنْ يسمع عمود الدموع الخائفة, لِمَ الخِراف يأكلها سرداب ممسوخ, والشمس في أرجوحةِ الليل تتأرجح مسبية الشموع, ولِمَ هذي الجموع عجاااااف, بيوضها فاسدة) ..قصيدة نثرية (حين يكون التراب ممنوعاً) ص173.

أنّ قصيدة النثر هي ومضة شعرية تتوهّج في خطاب المشهد الثقافي العربي وتتألف في اروقة الشعراء الذين يعرفون هذه الآيقونة المنفردة بثياب اللغة ومدونات الايحاء والدلالة, نحو سياقات معرفية نابضة بالتجدد والاستمرار في قدرتها على الاعتراف بها نصّاً نثرياً من قبل الاخرين, وهي مملكة مجمع الديوان الحداثي للخارطة الطوبغرافية الذي رسمته خطوط مدرسة المنظّرين الاوائل في عهد الملك السومريّ حينذاك. وبذلك يمكننا أن نقول في النهاية أنّ الشاعر (كريم عبدالله) توصّل في هذه المجموعة من القصائد النثرية الى ما سبقه من الشعراء في قصيدة النثر أمثال محمد الماغوط وأنسي الحاج وتوفيق صايغ ونقولا قربان وجبرا ابراهيم جبرا وقد تبعهم أخرين من جيل العشرينيات وحتى الان.

العراقية الاسترالية

ثقافيَّة فنيَّة

الشَّاعر بابلو نيرودا يكتبُ حرفه كمَنْ يرسمُ على خدودِ الزُّهورِ أناشيدَ الحنينِ والحبِّ وهلالاتِ نسائم الصَّباح

صبري يوسف/السويد

بابلو نيرودا؛ شاعر تشيلي شامخ شموخ العباقرة، معبّقٌ ببركاتِ السَّنابل في تألّقاته الإبداعيّة الطّافحة بصورٍ مدهشة متدفّقة مثل شلّالات نياغارا. شاعر نادر في مناغاةِ زغبِ القصيدة وقبلةِ الحبيبة، وحنينِ الحبيبة وهي تزدانُ عناقًا بينَ أحضانِ الفرحِ في كلِّ الفصول. يكتبُ حرفه كمَنْ يرسمُ على خدودِ الزُّهورِ أناشيدَ الحنينِ والحبِّ والفرحِ والجمالِ وهلالاتِ نسائم الصَّباح. شاعرٌ محبوكٌ من عبيرِ السَّوسن ومرجانِ البحرِ وتغريدِ البلابل وسقسقاتِ العصافيرِ في أحضانِ غاباتِ الفرح. يقطرُ ألقًا في انبعاثاتِ حرفِه مثلَ وميضِ إشراقةِ الشّمسِ وهي تقبّلُ مروجَ الرّوحِ في أبهى انبلاجِها ورونقِها وانبهارِها. حلّقَ بحنينِه وذاكرتِه وخيالِه عاليًا إلى أن لامسَ حرفُهُ بسماتِ النّجومِ، فهلّلَتْ غيومُ السّماءِ أناشيدَ عشقٍ لحبورِ الأرضِ، وهي في أوجِ شوقِها لمذاقِ المطرِ في بدايةِ الرَّبيع؛ كي تسقي حنينَ الزُّهورِ واخضرارَ الأرضِ المتعطّشة لحبورِ السّماءِ وهي تغدقُ خيراتِها على جبينِ الكونِ.

يُشبهُ نيرودا ليلة قمراء تتلألأ فيها النُّجومُ بكلِّ بهائِها، ويسطعُ القمرُ ضياءً فوقَ عشّاقِ هذا العالم، كتبَ حرفَهُ بشاعريّةٍ رهيفةٍ طافحةٍ بالحبِّ والفرحِ وتجلّياتِ القلبِ والخيالِ، فولدَتْ عبر رحلَتِه الفسيحةَ معَ عوالمِ الشِّعرِ أجملَ القصائدِ على مدى سنينِ عمره، كأنّها عطايا السّماءِ المتهاطلة علينا مثلما تتهاطلُ زخّاتُ المطرِ ونحنُ في قمّةِ ابتهالاتنا. تتلألأُ علينا تلألؤاتُ النّجومِ فتضيءُ لياليَنا بحبورٍ منقطعِ النّظيرِ، وتتناهى إلى أسماعِنا قهقهاتُ الأطفالِ وهم في أعماقِ المروجِ، يمرحونَ فوقَ أعشابِ الحنينِ شوقًا إلى أحضانِ أمّهاتِهم وهنَّ يدندِنَّ تهويداتٍ منبعثةً من أزهى القصائد، غيرَ مبالينَ إلّا لتهويداتِهنَّ المنسابة بعذوبةِ أنغامِها، فتغفو الأطفالُ بهناءٍ عميقٍ، وتتألّقُ القصيدةُ لتكونَ مرآةَ الفرحِ والشّموخِ فوقَ طينِ الحياةِ!

تميّزَ نيرودا -إضافةً لفضاءاتِه الشّعريّة الباسقة- بمواقفِه السّياسيّة ونشاطاتِه المتعدّدة حولَ قضايا وهمومِ بلادِه، وتطوّرَتْ عطاءاتُه إلى أنْ رُشّحَ للرئاسةِ في بلادِه. ما أجملَ أن يقودَ شاعرٌ بلادَهُ إلى أبهى منارات الجمالِ والحبِّ والخيرِ والعطاءاتِ الخلّاقة! لكنّهُ انحازَ إلى مساراتِ بوحِ الشّعرِ، أكثرَ من انحيازِه إلى رئاسةِ الكونِ؛ فقد رأى في رحابِ الشّعرِ وجموحِ القصيدةِ طموحاتِه الكبرى، كي يعبّرَ عن شغفِه وما يموجُ في أعماقِه من مشاعرَ دفينة، فترجمَ لواعجَهُ برهافةٍ مبهجة، إلى أن أصبحَ من أشهرِ الشُّعراءِ وأكثرهم تأثيرًا في عصرِه من خلالِ رهافاتِ إحساسِه في تجسيدِ وهجِ الشّعرِ الأصيلِ، فكتبَ شعرًا لم يسبقه أحدٌ في عصره. شاعرٌ جامحٌ في رسمِ القصيدةِ بكلِّ تلاوينِها وعنفوانِها نحوَ ابتهالاتِ براري الرّوحِ وينابيعِ القلبِ المنفتحِ على منارةِ الحياةِ بأبهى مساراتِها، كأنّها مضمّخةٌ بشهيقِ الشّمسِ ونكهةِ الزّنبقِ البرّي ونضارةِ النّدى المتناثرِ فوقَ خدودِ الصّباحِ.

تبرعمَ بابلو نيرودا، شاعرُ البهاءِ الكوني، في يومٍ من أيّامِ صيف تشيلي في قريةِ بارال، المكتنزةِ بطبيعةٍ خلّابةٍ ومعرّشةٍ بخيراتٍ وارفةٍ، قريةٍ غارقةٍ في العطاءاتِ وبهاءِ الجمالِ ووهجِ البوحِ، متعانقةٍ بجوٍّ شاعريٍّ بديعٍ كأنّ جوَ القريةِ هديّةٌ منبعثةٌ من السّماءِ لجموحِ عوالمِ نيرودا، تُشبهُ عوالمُ القريةِ انبعاثاتِ قصيدةٍ شعريّةٍ طبيعيّةٍ منبلجةٍ في وسطِ تشيلي كي تُسهمَ في نشرِ تلألؤاتِ خيراتِها عبرَ أشعارِ نيرودا في كلِّ بقاعِ الدُّنيا. تأثّرَ نيرودا بروعةِ الأجواءِ الّتي ترعرعَ فيها وتشرّبَ من حبقِها المنسابِ في شهيقِه وزفيرِه، وانعكسَ كلُّ هذا الجمالِ على تجلّياتِ شعرِه، وراحَ يستلهمُ من عوالمِه قصائدَ عشقٍ وفرحٍ كأنّهُ في رحابِ النّعيمِ، فجاءَت القصائدُ مخضّبةً بحنينٍ لا يُضاهى!

قالَ عنه الرّوائي الكولومبي الكبير كبرئيل غارسيا ماركيز، صاحب رواية: "مئة عام من العزلة" و"الحب في زمنِ الكوليرا"، بعدَ أنْ غاصَ عميقًا في عوالمِ نيرودا الفسيحة عبرَ قراءاتِه الشّعريّة في محطّاتِ حرفِه المتألّقِ إنَّ: "بابلو نيرودا من أفضلِ شعراءِ القرنِ العشرين في جميعِ لغاتِ العالم". هذا تصريحٌ بديعٌ من شيخِ الرّوائيّين في أميريكا اللّاتينيّة، كيفَ قالَ عنه كلَّ هذا الكلام، ما لم يكُنْ نيرودا شاعرَ الشُّعراءِ في عصرِه وباني هندسةِ القصيدةِ بكلِّ فضاءاتِها الشّاهقة؟ وكم أدهشتني سونيتاته المئة الّتي كتبها إلى حبيبته ماتيلدا؛ تحتَ عنوان "مئة قصيدة حب إلى ماتيلدا"، خلّدَ ما تيليدا وخلّد الحب ووهج الحب عبر هذا الدّيوان الموغل في الرُّومانسيّة، كما كتبَ عنه النّاقد الأدبي الأميريكي البروفيسور (هارولد بلووم) عبر رؤاه النّقديّة العميقة: "لا يمكن مقارنة أي (شاعر) من شعراء الغرب بهذا الشّاعر الّذي سبقَ عصره". وقد رأى النّاقد هارولد بلووم أنَّ نيرودا سبقَ عصرَهُ، ومن يقرأ شعره يتلمّس هكذا رؤية في مذاقِ القصيدة؛ لما في قصائدِه من شموخِ إبداعي رهيف في سموِّه المنبعثِ من ثغورِ الأزاهيرِ المبلّلةِ بوبرِ أجنحةِ الفراشاتِ، قلّما نجدُ نظيرَهُ في عالمِ الشّعرِ بانبعاثاتِه وتجلّياتِه السّامقةِ في دنيا الخيالِ الخلّاقِ في ذلكَ العصر!

عُرفَ نيرودا منذُ بدايةِ صباه وشبابه بميولِه وانتمائِه للحزبِ الشّيوعي؛ كانَ شيوعيًّا يساريًّا حتّى النّخاع، تميّزَ بنشاطِه السّياسي البارز ورؤاه الفكريّة النّيرة، إلى أن أصبحَ عضوًا فعّالًا في مجلس الشّيوخ وعضوًا في اللّجنةِ المركزيّة للحزب الشّيوعي. وتجلّى شغفه العميق بحبِّ الطّبيعةِ منذُ باكورةِ عمرِه وكأنّ تشكيله المزاجي والفكري وخياله الرّهيف جامح نحوَ بهاءِ الشّعرِ والجمالِ الخلّاق. وكم كانَ يغمرُهُ شعورٌ بالغبطةِ كلّما سافرَ عبر القطارِ وسط الغاباتِ المكتنفةِ باخضرارِ الأشجارِ الباسقةِ على مساحاتٍ واسعة، فتشرّبَتْ ذاكرتُهُ وخيالُهُ بروعةِ الغاباتِ واخضرارِها الممتدِّ على مدى حنينِ البصرِ، ومنحتْهُ الطّبيعةُ بجمالِها الآسر آفاقًا شهيّة على استلهامِ وهجِ الشّعرِ الشّفيف، فأصبحَتْ مصدرًا لإلهامِه في ترجمةِ مشاعرِه الشّعريّةِ الفيّاضة، وتنامى شغفُهُ بالطّبيعةِ والجمالِ والحبِّ والشّعرِ إلى أن غدا الشّاعر كأنّهُ جزء ممتدٌّ من روعةِ الطّبيعة، جميلٌ أن يتنامى الشّاعرُ ويترعرعَ في خضمِّ الجمالِ بكلِّ آفاقِه الخصبة، ويتماهى بكلِّ طموحاتِه وأحلامِه معَ بهاءِ الطّبيعةِ واخضرارِ الحياةِ!

يبدو أنَّ قدرَ المبدعين الكبار أن ترافقَهم أقدارٌ مريرةٌ في حياتِهم؛ فقد توفيت أمّ نيرودا ولم يتجاوز شهرَهُ الثّاني، فأصبحَ منذُ شهورِه الأولى منعزلًا ووحيدًا، فترعرعَ في كنفِ الانعزالِ، محرومًا من أحضانِ الأمِّ الّتي أنجبتْهُ حتّى ولو احتضنته العديد من أمّهاتِ ومربّياتِ العالم، وحالما اشتدَّ عودُهُ قليلًا وهو في باكورةِ العمرِ، ترجمَ هواجسَهُ وما كانَ يعتريه من همومٍ ومشاعر، فكتبَ العديدَ من القصائد عن الحبِّ والعزلةِ ومآسي الحياةِ ضمن ديوانٍ شعريٍّ حملَ عنوان: "عشرون قصيدة حبٍ وأغنية يائسة"، مترجمًا جموحاتِه ومفرّغًا معاناته وحبّه وبؤسه وشغفه في الحياةِ في فضاءِ القصيدةِ، فكانت القصيدةُ الينبوعَ الصّافي الّذي طهّرَهُ من رماحِ وآهاتِ الحياةِ الّتي صادفَها في محطّاتِ عمرِه، فركّزَ على الشّعرِ كي يبني عالمه الّذي يحلمُ به، فلم يجدْ أجدى من حرفِه يبلسمُ حياته ويصدُّ جحيم الحياة الّتي يمكنُ أن تتفاقمَ عليه يومًا بعدَ يومٍ، في زمنٍ تفاقمَتْ فيه الأحداثُ والأقدار من كلِّ جانب. وبعدَ وفاةِ والدته: "روسا باسولاتو" بمرضِ الدّرن، انتقلت عائلته إلى تيموكو وتزوّج والده للمرّة الثّانية من "ترينيداد كانديا ماربيردي" وكانت بالنّسبة لنيرودا بمثابةِ أمّه؛ رعته واهتمّتْ به اهتمامًا كبيرًا، وكانت لها عاطفة أمومة جيّاشة نحوَه. كبرَ نيرودا والتحقَ بمدرسةٍ خاصّةٍ بالبنين، وتابعَ دراستَهُ إلى أن حصلَ على دراسةِ العلومِ الإنسانيّة. وكان للبيئةِ الطّبيعيّة الجميلة لمدينة تيموكو المتعانقة بجمالِ الغاباتِ والبحيراتِ والأنهار وسلاسل الجبال الجميلة دورٌ كبيرٌ في تشكيلِ العوالم الشّعريّة لبابلو نيرودا. وبعد ديوانِه الأوّل: "عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة" الّذي تُرجمَ إلى اللّغة العربيّة عدّة مرّات، كتبَ سيرتَهُ الذّاتية الّتي عنونها: "أشهد أنّني قد عشتُ" وتُرجِمَتْ إلى العربيّةِ منذُ سبعينياتِ القرنِ الماضي.

لعبَتِ النِّساءُ دورًا محوريًّا في حياةِ بابلو نيرودا؛ فقد تزوّجَ ثلاثُ مرّات؛ تزوّجَ من الهولنديّة الفاتنة "ماريكا" وانتهى زواجه منها بإنجابِ طفلته الأولى "مارفا مارينا"، وبعدَ وفاةِ ابنته الطّفلة، على أثرِ معاناتِها من عدّةِ أمراض، تزوّجَ من زوجته الثّانية "ديليا" الأرجنتينيّة وكانت تكبرُهُ بعشرينَ عامًا. ثمَّ وقعَ في عشقِ مطربة تشيليّة مبهرة في العشق، كانت تقيمُ في المكسيك تدعى "ماتيلدا أوريوتي" وأصبحت زوجة الشّاعر الّتي خلّدَها في أجملِ أعمالِه الشّعريّة. كتبَ نيرودا لماتيلدا ديوانه الأشهر في كلّ العالم "مائة سوناتة حبّ" وتمّت ترجمته إلى العربية: "مئة قصيدة حب إلى ماتيلدا"، عبّر في هذا الدّيوان عن ملحمةٍ عشقيّةٍ في الشّعر، وقد هيمنَتْ ماتيلدا العاشقة الحبيبة الزّوجة على أحاسيسِ الشّاعر وأصبحَ مغرمًا بها إلى درجةِ الهيام.

نالَ الكثيرَ من الجوائز، منها: جائزة نوبل للآداب، وعندما عادَ إلي تشيلي استقبلَهُ الجمهور باحتفالٍ كبيرٍ في استاد "سانتياغو" وكان على رأسِ الاحتفال الرّئيس "سلفادور اللّيندي"، وبعد ذلكَ لقي الرَّئيسُ مصرعَهُ علي أثرِ الانقلابِ الّذي قادَهُ بينوشيه. ثمَّ جاءَ جنود بينوشيه إلى بيت "بابلو نيرودا"، وسألهم: ماذا تريدون؟ أجابوه: جئنا نبحث عن السّلاح في بيتك، فردّ نيرودا: "إنَّ الشّعرَ هو سلاحي الوحيد". وبعدَها بأيّام قليلة توفي نيرودا، متأثّرًا بمرضِه وإحباطِه من الانقلابيّين، وقال آخر جملة عن الانقلابيّين في كتابِ سيرته الذّاتية: "لقد عادوا ليخونوا تشيلي مرّةً أخرى".

العراقية الاسترالية

ندوة علمية دولية كبرى في أزيلال المغربية

دكاترة وباحثون ومهتمون يقرّون بأهمية الفنون في تخليق الفرد وبناء مجتمع القيم

عبدالله علي شبلي/المغرب

بدعم من المجلسين الاقليمي والجماعي بأزيلال، نظمت جمعية" واحة الفنون" الندوة العلمية الدولية تحت عنوان " أهمية الفنون في تخليق المجتمع "وذلك يومي الجمعة والسبت 10 و 11 يونيو 2022 بقاعة الندوات بالنواة الجامعية السلطان مولاي سليمان بأزيلال و فضاء المركز الثقافي أزيلال .
الندوة تمت بشراكة مع مجموعة من الأطراف " النواة الجامعية السلطان مولاي سليمان بأزيلال" "ماستر التربية الجمالية بكلية علوم التربية بالرباط " " المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة بني ملال - خنيفرة " "المركز الثقافي والمديرية الاقليمية لوزارة التربية الوطنية بأزيلال " وأخيراً " مركز التوجيه والتخطيط " " وجمعية فناني القصبة " بمدينة الرباط .
وتهدف الندوة إلى نشر ثقافة الفنون وتثمينها داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع باعتبارها روافد ثلاث لكل نهضة حقيقية قادرة على تسييد القيم الحقيقية والمُثلى.
وهكذا طرح مجموعة من الدكاترة المتميزين والأساتذة المهتمين بالمجال الفني والثقافي والجمالي من خارج المغرب وداخله مجموعة من المداخل الأساسية لمناقشة تيمات مهمة وأساسية تتعلق بتخليق الفن وأهميته الكبيرة في تكريس الذائقة الجمالية .

ومن بين المحاور الكبرى التي طرحتها الندوة الدولية:
1- دور التربية الفنية في تنمية الذوق الجمالي والسلوك الاجتماعي لدى الفرد والمجتمع
:حيت أكد الباحثون في هذا المجال على أهمية الفنون بكل أنواعها (التشكيل، المسرح، النحت، الموسيقى) في التربية القيمية والاجتماعية والجمالية للأفراد والمجتمع.
وهكذا تلعب هذه الفنون أدوارا أساسية في تهذيب النفوس وتنمية الأخلاق وتطوير الأذواق الجمالية، وفي اكتساب المهارات والسلوكات والقيم الاجتماعية والإنسانية.
مما يساهم في بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة والمنفتحة والمتزنة نفسيا وفكريا وثقافيا وسلوكيا واجتماعيا.

2- إبراز أهمية ودور الفن التشكيلي في تربية الفرد ومن خلاله المجتمع على القيم الفنية والجمالية والاجتماعية.لذلك تم التنبيه إلى أهمية إدراج الفنون في البرامج الدراسية . لأن الفن ضرورة وليس ترفا كما يُعتقد و أن قيمته تتجاوز الجمال الى الوظيفة ومثال على ذلك في الجانب الميداني، تمت الاشارة إلى دور الفن في تحسين وضعية المجموعات الموسيقية الكناوية، إذ انه أسهم في الحفاظ على استمراريتهم وبقاء ممارساتهم الفنية والطقوسية، مما زاد من رصيدهم المهني والاجتماعي.

3- دور المدرسة في إنشاء مواطن متشبع بالقيم وقادر على الانخراط بشكل إيجابي في المجتمع.
مع التنبيه على تثمين أهمية القيم الشعبية وكذا الحكايات الشعبية المذكورة في الكتاب المدرسي الخاص باللغة الأمازيغية. وفي هذا المقام المتعلق بالأمازيغية تمت الدعوة إلى تبني توصيتين أساسيتين : الأولى تتعلق بتوحيد مصطلحات الكتب المدرسية الخاصة باللغة الأمازيغية في مختلف ربوع المملكة. والثانية تتجلى في إدماج نصوص شعرية في البرنامج الدراسي الخاص باللغة الأمازيغية.

4- تسليط الضوء على واقع المدرسة المغربية في علاقة وطيدة بالقيم والسلوكات التي باتت ترهق المجتمع والحياة المدرسية . وعبره تم تقديم طرح نظري يتوافق مع المنهج الاجتماعي في فلسفة الفن وعلاقتها بالإنسان المعاصر، وطرح واقعي يهم العلاقة بين الفن وتطوير المهارات الحياتية التي أصبحت تعد عصبا للحياة المعاصرة .

5-الاحاطة بأهمية الرقمنة ليس باعتبارها أداة مساعدة فقط بل مصدر معرفة وقيم أيضا ينبغي النظر اليها من زاوية فنية وتثقيفية.والتي اعتبرها أحد المتدخلين ليست طريقة ناجعة وفعالة لتحقيق الأهداف المرجوة منها إذ أنها تعتبر فقط كوسيلة مساعدة . غير أن المطلوب هو أن تعطاها أهمية بكونها مادة مستقلة وليست مساعدة فقط.

6- ضرورة إنشاء تكوينات للإسهام في الارتقاء بالذوق الفني، وكذلك للتوعية بأهمية الفنون في تخليق المجتمع ونشر القيم. ولن يتم ذلك أبداً إلا بحصر مهام التكوينات ومعرفة المراد منها رأساً. وهذا يستدعي الفصل بين تكوين مهاري وتكوين معرفي وتكوين قيمي.
وإذا كان الفن يعرف على أنه " إحدى الأدوات التي استعانت بها الحضارات لتستمر و تدوم، فمنذ القدم ونحن نتتبع آثار تلك الحضارات المختلفة، فعرفنا أساليب حياتهم، واطلعنا على ثقافاتهم وعلى فنونهم المختلفة التي لم تكن بداية بغرض الزينة او الجمال بل كانت ضرورة لسد الحاجة وتحقيق المنفعة . " فإن المدخل المفاهيمي وحده يظل قاصراً عن الاحاطة بالفن وجمالياته الممتدة .هذه الجماليات لن تولد مع الانسان غريزية.

بل هي وليدة الأسرة والمدرسة والمجتمع باعتبارها روافد أساسية لصنع هذه الذائقة وتنميتها. من هذا الأساس وجب أن تحظى القيم والاخلاق بمكانة عالية في صنع الفن وتسويقه من جهة ,وأن يكون الفن من جهة أخرى حاملاً لها ومسوّقاً في مجالات انتشاره الواسعة والممتدة. أ لم يقل هيجل جملته المشهورة ذات يوم بعيد "إن غاية الفن القصوى هي تهذيب الأخلاق وتلطيف الهمجية"

ماذا يعني لك الآيباد؟!!

وأنت في زمن العصرنة الحداثوية

عبد الجبارنوري/السويد

تموز2022

المقدمة

هو عنوان مقالتي وبحثي الجديد وهو سؤال قابل للجدل ومحيّرْ يخفي تناقضات الحياة السوسيولوجية الأجتماعية فهو جهاز ذو وجهين لنقل سلاح ذو حدين مفيد ضار نهار وليل حلو الشهية مرْ المذاق فهو (شرَ لابدَّ منهُ)، وقد طرحتُ من سيمياء العنوان سؤالاً مهماً ربما يختزل البحث عن هذا الموضوع الخطير، لا نستغرب حينما يوصف جهاز الآيباد بـ (جهاز المهمات الصعبة) فهو أكثر من قادر على تحقيق ما ترغب وتريد من الحصول على مجموعة من الوسائل الفعالة والممتعة بأقل وقت وأقل جهد وتكلفة كتنفيذ مشروع عمل أو التسلي بلعبة مجازفات أفتراضية خيالية بفضاءات فنتازية، والمحصلة فتح الأبواب أمام أبداعات الفرد الفنية، وإن للآيباد أمكانات لا متناهية وُضعتْ بين يديك وكأنك تدعك على مصباح علاء الدين السحري الأفتراضي الخيالي، فهو يسهل تشغيل التطبيقات الفعالة والمهمة من خلال اللمس بأجزاء من الثانية ويجعلك على أتصال أينما ذهبت بواسطة الأتصال الخلوي.

وسوف أتجه بالبحث في عالم الآيباد و (علم النفس الطفل) الذي يقوم على التركيز في سلوك الطفل وطريقة تفكيره لكي نشارك في تنمية قدراته الأجتماعية والعقلية والعاطفية والتعليمية ومدى تعامل هذا الكائن الصغير مع هذا الجهاز الكبير الحداثوي الرقمي.

الموضوع : ويشهد التأريخ بأن البشرية مرت بعدة ثورات وآخرها ثورة (تكنلوجيا الأتصال) والتي أحدثت القطيعة بين كل ما هو قديم وأصبح اليوم جديد، ونتيجة لهذه التطورات تزايد الطلب على هذه التكنلوجيا، وبالتالي أصبحت هذه التقنية الرقمية أكثر الموارد أهمية بالمقارنة بالموارد الكلاسيكية مما أصبح الأهتمام بتكنلوجيا المعلومات والأتصال الرقمي الشرط الشاغل بأعتبارها نقطة القوة والتمييز في عصر المعلوماتية لذا أحدثت التكنلوجيا الحديثة (الهواتف النقالة والآيباد) المعطي الرقمي برمته وهو الرابط الفعلي بين الفرد والعالم، وهو ما يثير التساؤل حول رؤيتنا المستقبلية أين نحن كعراقيين أو عرب من معطيات تلك التكنلوجيا؟ وكيفية مواكبتها، وخصوصا ما يخصُ الطفولة البريئة، الملاحظ أن تكنلوجيا الأتصال خلال السنوات الأخيرة تميزت بتطورات سريعة وتأثيرات مباشرة للثورة الرقمية على نمط الحياة الأنسانية وطموحاتها في السلام العالمي وأستغلال الأمكانات المتوفرة والمتجددة في هذا العصر.

أحدثت التكنلوجيا الحديثة تغيرًا جذريًا على حياة الأطفال الأمر الذي ساعد على أن يكون مفتاحًا للآمراض النفسية لدى جيل المستقبل، نتيجة غياب الحوارالأسري والأستخدام المبكر يدفع الطفل إلى الأدمان، صحيح أن في المد الأنفجاري للعصرنة الحداثوية أوجه أيجابية أذ حولت الحياة نحو الأسهل من خلال قضاء الأمور والحاجات بشكلٍ أسرع، ألا أنّها أحدثت فجوة كبيرة بينَ شرائح الناس على أرض الواقع وهذا ما يلاحظ في البيت والشارع والسيارة والقطار أن كل فرد ممسكاً هاتفهُ الشخصي ومنغمراً في عالمه الخاص.

والوضع الطبيعي للطفل هو اللعب ومشاهدة الرسوم المتحركة ولك ما نراه اليوم هو العكس تماما، فالطفل أصبح متعلقا بـ (الآيباد) بحيث أصبح أكثر براعة وخبرة من الكبار، وأثبت الطب النفسي أن الوالدين هما المحفز الأساسي لأدمان أطفالهما كونهما هما منشغلان طوال الوقت بهذه الأجهزة وبوسائل التواصل الأجتماعي، فضلا على أن بعض المدارس في عالمنا الواسع تسمح بالدراسة عبر الأجهزة الألكترونية والآيباد لأحتوائها على الفصول الدراسية للكتب المقررة ربما هي من أجتهادات المسؤولين التربويين المعتقدين بأن هذه الأجهزة عملة ذات وجهين - وهم على حق - النافع والضار، آن الوجه الحسن في أداء الطفل بالمعلومات الثرة لتفتح مداركه وتوصله بالعالم من حوله وتجعله ملما بالأحداث وبالجديد فضلا على أنها تنمي مخيلته والقدرة على الأستماع وتحليل المعلومات بمستوى الوعي والأدراك من خلال التفاعل البصري والصوتي للبرامج التعليمية الموجودة على الشبكة العنكبوتية وتخلق ثقافة البحث العلمي والأبداعي .

أما الوجه السلبي فهو يعزل الطفل عن أسرته وتضعف علاقته بمفهوم الأسرة لكونه يعمل على تفكيك الروابط الأسرية، وقد تخلق خللًا في شخصية الطفل في حال دخوله على مواقع مشبوهة في ظل غياب الرقابة الأبوية وقد يصاب بالأكتئاب وتتولد عنده العنف.

وأستعراضي لمعطيات تداعيات الآيباد النفسية ما هو ألا فيض من غيض حيث دفعني لتشخيص أسبابها فوجدت بعضها في العنف الأسري أو أنفصال الوالدين، وأن أغلب أولياء الأمور يفتقدون لمساحة الوقت الكافي والمخصصة للأبناء، بالأضافة إلى عدم ألمامهم بقدرات أطفالهم وتوظيفها من خلال الخدمات المجتمعية من قبل المراكز والأندية التي هي الأخرى قليلة في بلدنا العراق، وكذلك غياب الحوار الراقي مع الأبناء بسبب أنصرافهم إلى الأجهزة الأكترونية، وربما تكمن في أسباب ومعاناة أرثية في الجينات الوراثية ويكون الأفراط في أستعمال الطفل لهذا الجهاز في تبكير ظهور السمنة الزائدة والنحافة الزائدة، فلابدَّ من ملاحظة مخاطر هذا الجهاز في :

- الأدمان حيث تكون علاماته الشعور بالأنزعاج والقلق الشديدين في حالة البعد عن الهاتف الذكي أو الآيباد، شعور الطفل بالسعادة والحبور عندما يكون الجهاز بين يديه، ويميل الطفل المدمن إلى العزلة كثيراً ما يترك جلسة عائلية ليخلو بأصدقائه الأفتراضيين، وملازمة الطفل للجهاز أينما يتحرك.

- نمو الدماغ بشكل سريع خلال الأستخدام المفرط يحدث تحفيز قوي للدماغ بالنمو السريع حيث ينجم عنه مخاطر جمة مثل نقص الأنتباه وتشتيت التفكير وضعف في التعليم، وتأخير في تنمية مهاراته في التقبل، تشنج في عضلات العنق وأوجاع في العضلات، الكسل والجهد والخمول الجسدي والفكري والهذيان الذهني، والوميض المنقطع يتسبب في حدوث نوبات من الصرع عند الأطفال، أحتمال الأصابة بمرض أرتعاش الأذرع، والسرطان والأورام الدماغية والصداع والأجهاد العصبي، أضافة لأمراض العيون وضعف النظر والرؤية الضبابية ....* * (عن مركز التأهيل النفسي لمشفى هودنكه ستوكهولم/ترجمة الكاتب).

- البدانة : للجلوس الطويل لساعات حيث الخمول والكسل الذي يؤدي إلى السمنة الذي كما هو معروف انها السبب الرئيسي لمرض السكري والنوبات القلبية المبكرة .

- الأرق : أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن 60% من الآباء لايشرفون على أستخدام أطفالهم للأجهزة الحديثة، وأن 75% منهم يسمحون بأستخدامها في غرف النوم وبدون رقابة مما يؤدي إلى حرمانهم من النوم وأصابتهم بالأرق وهذا يؤثر على أداءهم الذهني.

- أن الأضطرابات النفسية والأمراض العقلية بين الأطفال في تزايد مستمر بسبب ظهور التقنيات الحديثة من الأجهزة الأكترونية ومن بينها (الآيباد) الأصابة بالأمراض العقلية الأستخدام المفرط لهذه الأجهزة قد يصاب الطفل بالأكتئاب والقلق والتوحد ونقص الأنتباه.

- الميل للعنف : أن ما يشاهده الطفل في أجهزة الآيباد من ألعاب أفتراضية أحيانا لا يدرك أنها تفتقد الواقعية في مشاهد القتل والتعذيب والتشويه والأغتصاب، فيميل إلى التقمص فيمارسها على أخوته أولا ثم يصدرها إلى الخارج مع زملائه في المدرسة ليحصل على عضوية نخبة البلطجة (عصابة التنمر المدرسي) أن هذه المعطيات والتداعيات النفسية الكارثية على الطفل البريء يبدوأنه ونحن الآباء في أمتحان عسير لحلحلة المشكلة والأتجاه إلى بعض من المعالجة والحل :

بالبدأ لدي همسة في أذن الوالدين : أني لا أقصد منع الأطفال من تداول هذه الأجهزة لأن في زماننا يعدُ ضربا من الخيال وأن المنع المطلق غير ممكن لكون مجمل هذه التقنية مفيدة ومن أفضل وسائل التعليم أذا أن لا يكون المنع (بطريقة بوليسية قهرية قمعية) لكون كل ممنوع مرغوب، يبدو أن المشكلة شاخصة وعامة لدى أغلب الأسر في أنتزاع الجهاز منهم أنتزاعا بعد ملحمة درامية، يفضل أن يحولوا أنتباههم إلى البديل كالأتجاه إلى الرياضة وخاصة إلى اللعبة المحبوبة لديهم كرة القدم أو للعبة الشطرنج، أو محاولة الأتجاه ألى الحل الوسط بأستعمال الآيباد من حيث عدد ساعات الأستخدام، زرع الوازع الأنساني داخل الطفل، المراقبة عن بعد، عدم حفظ البيانات الشخصيى داخل هذه الأجهزة على العموم ومنها الآيباد، ولابد من التركيز على توفير الثقة والقدرة على (توظيف) الأثر الأيجابي في الحياة والأستمتاع بما تحققهُ بعيدا عن الأضرار والأوجاع والمشاكل والعراقيل التي هي من أفرازات الوجه الثاني لعملة التقنية الرقمية، ترى هل نراهن على أيجابياتها؟ أم نترك السلبيات تقضم طموحات الأجيال القادمة، فالوجهان مفروضان علينا فلابد أن نكون في الأتجاه الصحيح في أستثمارفوائدها والتقليل من أثر الجانب المعاكس، وأن لا ننسى دور الدولة وحرصها على حضور الأجتماعات الدولية لدراسة سبل حماية الشباب من مخاطر الجريمة الألكترونية وفي اعداد مكتبة للتوعية الألكترونية، وكذلك يجب أقحام السلطة الرابعة (الأعلام) في خضم هذه المعركة المصيرية وأبراز التوعية من أجل ثقافة ألكترونية جادة ووطنية.

.....

هوامش للضرورة

- علم النفس التربوي، تأليف عبد المجيد نشواني
- العلاج السلوكي للطفل- أساليبه ونماذج من حالاته/ تأليف د-عبد الستارأبراهيم و د- عبدالعزيز الدخيل

أحلام عند شاطئ المتوسط

كتابة الناقد، البروفيسور
أحمد الملا سطام الجميلي

هناك يعتصر المتوسط كل ابداعاتك ويحيلها الى قصائد محملة بالألم والخيبات,
هناك في الاناضول تترعرع الفراشات؛ مثل امسياتٍ وارفة, ثم تمضي قريبا من سواحل المتوسط, لتشتم زفرات الامواج التي ما برحت تتسامى غيضا منذ آلاف السنين.....
وانت تنظر من شباك غرفتك المطلة على الساحل حيث الامواج القادمة, ثم المسافرة, ثم المزمجرة ثم الخائرة ... تتراءى لك الولادات: ولادة سعيدة بالقرب من جزر الاميرات
واخرى تعيسة موجعة بالمرارات.
ثم يوشك الليل ان يتداعى
فتهرب معه امنيات في طريقها الى الممات
.....
نص شعري محمل بالألم والأمل و بقايا الذكريات
وروائح امواج البحر الهائمات
وتنوع الولادات وفناء الامنيات
ورحيل البحر الى منفى الازقة الذابلات
حيث العلاقات الرديئة والمشاعر الموبوءة بالخيبات
عند مربع الفقر المعشش في زوايا الامسيات
وبقايا الالم و الخيبات.
.....
.....
ان دراسة تحليلية لهذا النص الشعري تحتاج الى وقت وجهد يتسامى خارج حدود هذا الفضاء الالكتروني ليتخذ لنفسه وجودا على الورق, يتحول الى تاريخ يشي بالأحلام والأمل والامنيات.
النص هو انثيال لأفكار غنية, وهو عصارة تجربة ثرية؛ ادبية, وفنية, وواقعية, وتاريخية, وجمالية, ونفسية أثارتها لحظة عاطفية جمالية تناغمت مع مشهد البحر وهمهمة امواجه الحائرات.

1- هي أفكار نفسية لأنها كُتبت بفلتر التداعي النفسي للأحداث ومن زاوية الرؤية الشخصية للمتحدث داخل النص الذي يقارن بين متضادات متنوعة, يجري حسم افضلها من خلال الصراع داخل لاوعي المتحدث الذي يقدم احداهما على الأخرى. ومن الامثلة على فقرات التناقض في النص, هو مثال المقاربة بين ولادتين: احدهما على ضفاف المتوسط وهي سعيدة, والاخرى, في مكان اخر وهي تعيسة.
وهنا تكمن اهمية المقارنة... المتحدث في النص يبين تعاسة الولادة في بلده وهو يرجو ان تكون هي الاخرى سعيدة ايضا مثل بقية الولادات في اماكن اخرى.

2- جمالية النص الشعري تكمن في الاستخدام المتفرد للغة وشحن اشاريتها بمعانٍ متواصلة. مفردة(الحلم) – مثلاً- محملة بإشاراتٍ متواصلة تعبر عن مكنونات ما يريده المتحدث من خلال قيامه ب الاشارة الى الحلم الذي يعتمل في خاطرة والذي يتمنى ان يتحقق. ويتجلى حلم المتحدث بالحصول على (السعادة) ليس اكثر من ذلك. هو حصل على سعادة مؤقته من خلال مروره بطرقات (جورين) لكن هدفه الاساسي هو السعادة الدائمة في بلده:
"أمامك...
افرش لك ذاك الحلم البعيد أمامك ،
ألقي في دورب (جورين) القديمة،
قصة غامضة،
تتوسد حانات البلدة،
التي يلفها أثر الضباب،
وهي تختلس النظر لحظة،
لتبعد وخزة الألم،
التي تطارد نوم الكاهن ،
وهو يعمد صغار النحل،
في فناء الكنيسة."

من وجهة نظر المتكلم في النص الشعري فان السعادة تكمن في الابتعاد عن الألم. وهو هنا يصرح بذلك علنا عندما يتمنى ان تبتعد عنه (وخزة الألم) ليشتكي قصته الغامضة للمدن الغريبة وللمدن القديمة وللمدن السعيدة: هو يشحذ جمالها وعراقتها وسعادتها لعلها تضفي على بلده مثلها.

3- ويستمر الحلم ليرتسم على هيئة ملكة توزع الشهد الاخير على الهائمين:
"يرتسم الضوء بصورة ملكة،
توزع الشهد الأخير بجنون،
مع صورة لمعبد،
تتساقط منه،
كلمات الأمس،
التي محتها تعاسة السنين"

4- تهيمن صورة البحر المتوسط على فكرة النص الشعري؛ فتصبح تارة اشارة متعددة المعاني, وتارة اخرى رمزا للعطاء, وثالثة علامة على الحنين والنماء. المتحدثُ مبهورٌ بالمتوسط. اسلافه كانوا ايضا به مبهورين وبسواحله مولعين. كانوا يركبون امواجه في رحلاتهم فطمرت امواجه اعداد هائلة منهم, فاخذوا لا يخشونه بالرغم من انهم اسموه ب (بحر الظلمات) واستمروا يركبونه. هناك تشتغل مفردة البحر كعلامة. ثم تغدو رمزا للحنين والشوق والحلم عندما يشعر المتحدث بالسعادة عند شواطئه الحنينة. ومفردة البحر هي اشارة متعددة المعاني فهي تارة تشير الى السعادة, او الجمال, او العطاء, وحسب ورودها في النص.

5- النص يعبر عن افكار متعددة تتراوح بين الشغف بجمال المتوسط وعذوبة الحياة عند سواحله الاليفة ... والتي قد تكون مخيفة؛ عندما يثور فتتلاطم امواجه المزمجرة ... وبين الرؤية الثاقبة للمستقبل التي تمر من خلال التناقض والتضاد بين الحالات المختلفة والمتعددة. لذلك فان النص يشي بنظرة ثاقبة وواضحة للمستقبل لا تبشر بأي أمل:
"تهز الفراشة خصرها الوثير،
تبتهج بهذا السحر القادم،
من كوكب تتناثر حوله،
امنيات في طريقها للفناء."
قد تنتهي الأمنية عند مغادرة شواطئ المتوسط
او عند ترك مدينة ارتبطت بذكريات محددة
او عند تلاشي الحلم
او عند هروب الفراشات
او عندما تبدد كلمات القصيدة
ثم يأتي الذبول, الذي قد يهيمن
اذا لم يجري الاشتغال على حلم آخر جديد!
6- القصيدة بحاجة الى عنوان وانا اقترح احد العنوانات الاتية:
" احلام وفراشات"
" احلام وكلمات"
"سحر الفراشة الوثير"

المثالية والتنازل

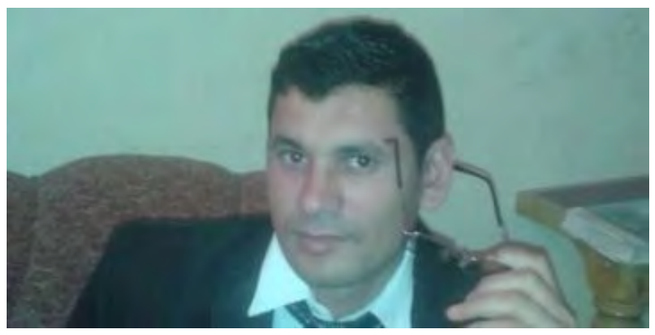

عصام سامي ناجي / مصر

* في ندوة ذلك الكاتب والروائي الشهير...في ساقية الصاوي بحي الزمالك والتي حضرتها بالصدفة، وكانت ضيفتها كاتبة ألمانية قد أصدرت كتابا عن ثورة يناير الخالدة وكان هذا إن لم تخوني الذاكرة في مارس 2013م المهم هاجم ذلك الروائي الكاتبة الألمانية وأتى علي ذكر حوارا له مع الواشنطن بوست، ولم يكتفي بهذا بل هاجم أيضا بعض رموز ثورة يناير، طبعا أنا قومت بالرد عليه في مداخلة طويلة وهو كانت حجته ضعيف، وكان يفتقد المنطق ... الآن أنا أتساءل أين ذلك الكاتب الحنجوري!؟ الذي صدعنا بالصراخ في العهد السابق، وأظهر خوفه علي الديمقراطية الوليدة التي خرجت من رحم ثورة يناير
.. وبعد انتهاء تلك الندوة ذهبت لتلك الكاتبة الألمانية وأخبرتها أنها أخطأت حين قبلت دعوة ذلك الكاتب وكانت تتولى الترجمة صديقة لها تعمل أستاذة للأدب الألماني بجامعة القاهرة.
* علي المستوى الشخصي أنا كاتب مستقل، ما تحركني هي قناعاتي - فقط قناعاتي - أنحاز دائما إلي المهمشين الذين لا يجدون من يتحدث عن معاناتهم، أدافع عن قضايا أمتي العربية، موضوع الشهرة لا يشغل أي حيز من تفكيري ولا أسعى له، ما يعنيني أن لا أخسر ذاتي، وأن لا أرهن قلمي، وأن لا أقف في الجانب الخطأ مهما كانت الإغراءات والمكاسب التي سأحصلعليها، رفضت الكثير مما يمكن أن يعتبرها البغض فرص لأنها ببساطة شديدة تتعارض مع ما أؤمن به، ما سبق ليس علي سبيل المثالية المفرطة، ما سبق من الأبجديات التي حددتها حين سلكت طريق الكتابة الشاق والمتعب.
* عرض أحد تجار الشاي علي الزعيم أحمد عرابي حين كان فى المنفى أن يقوم بتعبئة عبوات من الشاي, وتلك العبوات تحمل اسم عرابي مقابل مبلغ مالي كبير، فرفض الزعيم عرابي وقال: من باع أسمه فقد باع نفسه، والآن نرى من الكتاب وغير الكتاب من يبيع أسمه ونفسه من أجل الفتات الذي يحصل عليه من جهات مشبوهة.

شيءٌ من اللغة العربية

(العدد) ح/26

(الإضافة)

مديح الصادق/ كندا

جاءَ الضاربا زيدٍ، اللعنةُ على قاتلِي أحمدَ.

.....

الأسماء التي تلزم الإضافة:

1- ما يلزم الإضافة لفظاً ومعنى: أي لا يستعمل مفرداً بلا إضافة، نحو: (عندَ، لَدى، قُصارى، حُمادى، سوى).

منها ما لا يضاف إلا إلى الضمير: (وحدَكَ، لبَّيكَ، دوالَيكَ، سَعدَيكَ).

هناك أسماء تلزم إضافتها لجملة: اجلسْ (حيثُ) يجلسُ أبوكَ، أو (حيثُ) أبوكَ جالسٌ.

حضرنا (إذْ) أنت جالسٌ، حضرنا (إذْ) جلستَ.

{وأنْتُمْ حِيْنَئِذٍ تَنْظُرُوْن} هنا حُذفت الجملة التي أضيفت

لها (إذ) وعَوَّض عنها التنوين.

لا تضاف (إذا) إلا لجملة فعلية: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ}. هذا رأي البصريين.

أما إذا دخلت (إذا) على جملة اسمية، فالبصريون يرون أن ما بعدها فعل محذوف يفسره نفس الفعل الموجود في الجملة:

{وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ}. التقدير: وإذا سُئِلتْ الموؤدةُ سُئِلتْ. (الموؤودةُ)- بنظرهم- فاعل لهذا الفعل المحذوف.

أما الكوفيون والأخفش فيرون أن الاسم بعد (إذا) مبتدأ، ولا تقدير لفعل محذوف، وجوّزوا ذلك.

من الكلمات التي بمعنى (إذْ) بكونها ظرفاً ماضياً غير محدود ؛ يجوز إضافتها للجملة الاسمية أو الفعلية:

(حين، وقت، زمان، يوم): (زرناكَ حينَ نجحْتَ، ووقتَ سمعنا بنجاحِكَ، وزمانَ كنتَ جارَنا، ويومَ أنتَ ناجحٌ)

(كِلا، وكِلتا) من الأسماء الملازمة للإضافة لفظاً ومعنى:

عندما يُضافان للاسم الظاهر يُعاملان معاملة الاسم المقصور؛ رفعاً ونصباً وجرّاً: : فارَ كِلا اللّاعبَينِ،

استقبلنا كِلتا اللّاعبتَينِ، توجَّهنا إلى كلا اللّاعبينِ.

عندما يتصلان بالضمير يُعاملان معاملة المثنى، بالألف رفعاً وبالياء نصباً وجرّاً: حضرَ كِلاهُما، قابلتُ كلَيهِما، رحَّبتُ بكلتَيهِما.

.....

من الأسماء الملازمة للإضافة (لدُنْ): هو ظرف لابتداء الغاية في الزمان والمكان، وغالباً ما تُجرّ ب(مِنْ):

{لِيُنْذِرَ بأساً شَديداً مِنْ لدُنْهِ}. هي مبنية على السكون عند العرب، و(قيس) تُعربها، ومنها قراءة أبي بكر عن عاصم:

{لِيُنْذِرَ بأساً شَديداً مِنْ لدُنِهِ}. لقد جرَّ نون (لدُنْ) على لغة (قيس).

يُجرُّ ما بعد (لدُنْ) بالإضافة، إلا (غدوة) فينصبونها على التمييز، وفي نصبها آراء أخرى، واستشهدوا ببيت مجهولة نسبته:

"ومَا زَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمُ... لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوْبِ".

من الأسماء الملازمة للإضافة (معَ): هي اسم لمكان الاصطحاب أو وقته، وهي معربة، الشائع فيها فتح العين،

وجوَّز سيبويه بناء عينها على السكون للضرورة الشعرية، لكنها لغة (ربيعة)، ومن شواهد النحاة بيت لجرير بن عطية

يمدح هشام بن عبد الملك:

"فَرِيشِي مِنكُمُ، وهَوايَ مَعْكُم... وإنْ كانَتْ زِيارَتُكُم لِمَامَا".

.....

2- ما يلزم الإضافة معنى دون لفظ: يجوز أن يستعمل مفرداً بلا إضافة، نحو: (كلّ، بعض، جميع، أيّ).

من الأسماء الملازمة للإضافة معنىً (أيٌّ) وتأتي: (شرطية، استفهامية، صفة، وموصولة).

أ- الشرطية: أيَّ كتابٍ تقرأْ أقرأْ. هي جازمة لفعل الشرط وجوابه. تُضاف للنكرة المفرد والمثنى والجمع،

وللمعرفة المثنى والجمع عدا المفرد.

ب- الاستفهامية: أيُّ الفريقينِ فازَ؟. تُضاف للنكرة والمعرفة، المفرد والمثنى والجمع.

ج- الصفة: عندي صديقٌ أيُّ صديقٍ. لا تضاف إلا إلى نكرة. (ملازمة للإضافة معنى ولفظاً).

د- الموصولة: يُسعدنُي أيُّهم حاضرٌ. وقد شرحنا ذلك في محاضرة الأسماء الموصولة، ولا تضاف

إلا لمعرفة.

.....

أحكام الأسماء التالية: (غير، قبل، بعد، حَسْب، أوّل، دون، أمام، خلف، فوق، تحت، يمين، شمال):

أ- (تُعرب) إذا أضيفت لفظاً: أُهديتُ كتاباً لا غيرَهُ. انظرْ أمامَكَ ولا تلتفتْ خلفَكَ.

ب- (لا تُنوَّن) إذا حُذف المضاف إليه ونُويَ اللفظ، كما في بيت شعر غير منسوب لقائل:

"وَمِنْ قَبْلِ نَادَى كلُّ مَوْلَى قَرَابَةً... فَمَا عَطَفَتْ مَوْلًى عَلَيْهِ العَوَاطِفُ". التقدير: مِنْ قبلِ ذلكَ.

ج- (تُنوَّن) إذا حُذف المضاف إليه ولم يُنوَ لفظه ولا معناه ، وتُعامل معاملة النكرة، من هذا قراءة مَن قرأ:

{للهِ الأمرُ مِنْ قبلٍ ومِنْ بَعْدٍ}، ومن شواهده بيت ليزيد بن الصعق:

"فسَاغَ لِيَ الشرابُ وكنتُ قَبْلاً... أكادُ أَغَصُّ بالماءِ الحميمِ".

د- (تُبنى) على الضمّ إذا حُذف المضاف إليه ونُوي معناه دون لفظه: {للهِ الأمرُ مِنْ قبلُ ومِنْ بَعْدُ}.

قال أبو النجم العجلي يصف فرساً: "أقبُّ مِنْ تحتُ عريضٌ من علِ"

.....

يُحذف المضاف لوجود قرينة تدل عليه، ويأخذ المضاف إليه حكمه لقيامه مقامه:

{وأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمُ العِجْلَ}. التقدير: أُشرِبوا في قلوبِهم حُبَّ العجلِ.

{وَجَاءَ رَبُّكَ}. التقدير: جاءَ أمرُ ربِّكَ.

.....

قد يُحذف المضاف ويبقى المضاف إليه مجروراً، في حال عُطف المحذوف على مماثل له.

من الشواهد بيت لأبي داود الإيادي، واسمه جارية بن الحجاج:

"أَكُلَّ امرِئٍ تَحسَبِينِ امرَأً... ونارٍ تَوَقَّدُ بِالَّليلِ نارا".

التقدير: وكلَّ نارٍ، فقد عطف (كلّ) الثانية على (كلّ) الأولى، وحذف الثانية، وأبقى المضاف إليه (نار) مجروراً.

.....

يُحذف المضاف إليه ويبقى المضاف على وضعه كما لو كان مضافاً، ويُحذف تنوينه، إذا عُطف على المضاف

اسم مضاف إلى مثل المحذوف من الاسم الأول: قبَّلَ الأبُ رأسَ وجَبينَ ابنتِهِ.

لقد حُذف ما أضيف إليه (رأس) وهو (ابنته)، التقدير: (قبَّلَ الأبُ رأسَ ابنتِهِ وجَبينَ ابنتِهِ).

.....

يجوز الفصل بين المضاف (المصدر، أو اسم الفاعل)، والمضاف إليه، والفاصل ما نصبه المضاف من مفعول به،

أو ظرف، أو شبهه.

جاء في قراءة ابن عامر: {وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلادَهِمْ شُرَكَائِهِمْ}. التقدير: قَتلُ شركائِهم أولادَهم.

أعجبني ضربُ الكرةَ زيدٍ. التقدير: أعجبَني ضربُ زيدٍ الكرةَ.

جاء عمَّن يوثق بعربيته: "ترْكُ يوماً نفسكَ وهواها؛ سعيٌ لها في رَدَاها". التقدير: ترْكُ نفسِكَ يوماً...

.....

قد يُفصل بين المضاف والمضاف إليه بالقَسَم:

هذا أخو واللهِ زيدٍ. التقدير: هذا أخو زيدٍ واللهِ.

قد يُفصل بينهما بأجنبي من المضاف، الشاهد في بيت لأبي حيَّة النميري يصف رسم دار:

"كما خُطَّ الكتابُ بكَفِّ يَوْماً... يَهُودِيٍّ يُقارِبُ أو يُزيلُ".

التقدير: بكفِّ يهوديٍّ يوماً، و(يوماً) معمول (خُطَّ)، أجنبي من (كفّ).

قد يُفصل بينهما بالنعت، كما في بيت للفرزدق، همام بن معاوية:

"وَلَئِنْ حَلَفْتُ عَلَى يَدَيْكَ لأَحْلِفَنْ... بِيَمِيْنِ أَصْدَقَ مِنْ يَمِيْنِكَ مُقْسِمِ". التقدير: بيمينِ مُقسِمٍ أصدقَ من يمينِكَ.

قد يُفصل بينهما بالنداء: هذا عهدُ يا هندُ شاعرٍ صادقِ العهدِ. التقدير: يا هندُ، هذا عهدُ شاعرٍ...

.....

المضاف إلى ياء المتكلم:

أ- يُكسر آخر المضاف إلى ياء المتكلم (المفرد، أو جمع التكسير، أو جمع المؤنث السالم،

أو المعتل الجاري مجرى الصحيح)؛ رفعاً ونصباً وجرّاً، ويجوز تسكين الياء وفتحها:

حضرَ صديقِي، أكرمتُ صديقِي، رحَّبتُ بصديقِي. مثلها: أصدقائِي، وصديقاتِي، دَلوِي، ظبيِي.

ب- المقصور المضاف إلى ياء المتكلم يُجعل كالمثنى المرفوع: عصايَ، فتايَ، مرعايَ، هوايَ.

ج- المثنى المضاف إلى ياء المتكلم في حالة الرفع تقول: نجحَ صديقايَ، هذانِ كتابايَ.

في حالة النصب والجرّ تقول: قابلتُ صديقَيَّ، واشتقتُ لصديقَيَّ. أُدغمت الياء بالياء وفُتحت ياء المتكلم.

د- جمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم، تقول في الرفع: حضرَ مُشجعِيَّ.

الأصل حضرَ مُشجِّعُوْيَ، فاجتمعت الواو والياء وسَبَقت إحداهما بالسكون؛ فقُلبت الواو ياءً وأُدغمتا،

ثم قُلبت الضمة في العَين كسرة لتناسب الياء، وفُتحت ياء المتكلم.

وفي حالتي النصب والجرّ تقول: شكرتُ مُحبِّيَّ، سلامي إلى مُحبِّيَّ.

الأصل شكرتُ مُحبِّينَ لي، وسلامي إلى مُحبِّينَ لي؛ حُذفت النون لمتطلبات الإضافة، واللام في (لي)

وأُدغمت الياء بالياء، وفُتحت ياء المتكلم.

ه- الاسم المنقوص المضاف لياء المتكلم، تقول: هذا محامِيَّ. أُدغمت الياء بالياء وفُتحت ياء المتكلم.

.....

مع أطيب التحايا لكل مَن يُتابع محاضراتي باهتمام، ويستفيد منها، المُتخصِّصين وغير المُتخصِّصين.

نلتقي في الحلقة 27 (النداء).

للشعر كينونة زمنية أيضاً.. قراءة في(سبأ أخرى) للشاعر أحمد جاسم الخيّال

بقلم: طالب عمران المعموري

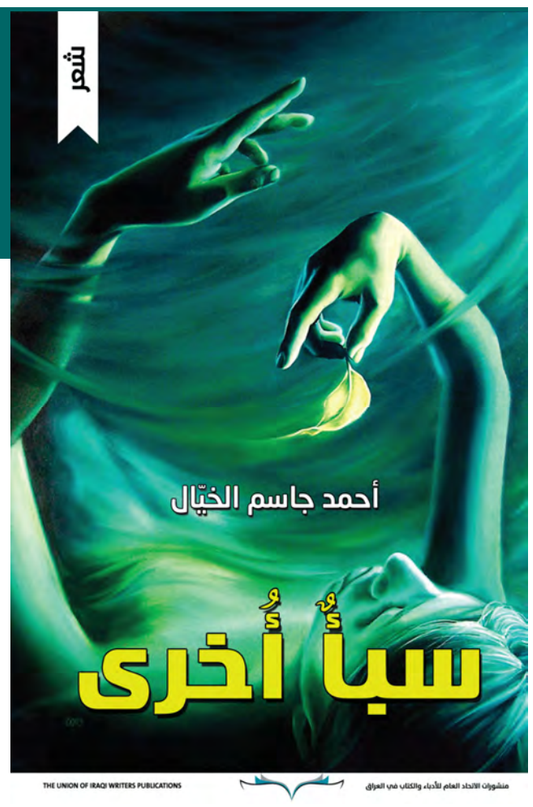

فكما للسرد كينونة زمنية يسجل من خلالها الكاتب زمنه النفسي في الزمن الكوني على حد تعبير "بول ريكور" ولان المستقبل اهم زمن نفسي بما هو زمن الاحتمال والتوقع وزمن الامل والانتظار.. هذا ما لمسته في الخيّال بإضمامته الشعرية (سبأ أخرى) طبعتها الاولى من منشورات اتحاد الادباء والكتاب في العراق 2021.

(سبأ أخرى) عنونة مركبة(جملة اسمية) مكانية استنباطية مما يمنحها مساحة تأويلية أوسع، اعتمد الشاعر عنوان الاستنباط المعجمي الصريح1 الذي قد ورد أحد عنونة نصوصه في مجموعته الشعرية كما هو صريحاً ويقدم نفسه على انه مفتاح تأويلي يسعى الى ربط القارئ بنسيج النص وهي الإشارة الأولى التي يرسلها الشاعر إلى قارئه ،جاءت التسمية على أحد قصائد المجموعة تحمل في طياتها بعدا زمنياً (سبأ) المملكة المعروفة لدى الجميع لكن ماذا أراد الشاعر بلفظ (أخرى)؟ هل أراد معنى حاضرا أو زمناً استشرافيا وقوعه في زمن المستقبل، أو ربما يوتوبيا الشاعر، فمن خلال تلك العنونة أحدث مفارقة لاستخدام السائد من اللغة وبقدر تلك المفارقة تخلق الدهشة التي تعطي العمل الإبداعي (شعراً أو سرداً) سمته الإبداعية .

تراوحت مجموعته الشعرية بين قصائد النثر والتفعيلة جاءت معظم عناوينها بلغةٍ انزياحيةٍ وهي سمة أسلوبية بوصفها انحرافا وهي قضية اساسية في تشكيل جماليات النص الأدبي، حيث خرج الشاعر في كلامه إلى نمط غير مألوف :

(خمر السُّرى/ أنيس النوى/ تلويحه القلق /ازرع لهم قمرا/برق التجلي/ فجر الطباشير/فجر الخطى/نخب الحلم/أنغام الحجب/ حداء القلب/)2

وجدت لمسة وتقنية جديدة، حيث جعل الشاعر لكل عنونة عتبة هامشية أسفل العنوان الفرعي عبارة عن أقوال انسكبت لغتها سائغة حاملة في ذاتها رؤيا معينة تنطوي على زمن حاضرا او استشرافا زمنيا :

سيأتي الذي قد كان/ سيظل ذلك الفجر معلقا بالأفق... حتى يكون ص9

أنيس النوى/ ربما ستكون شيئا آخر في السماء ص18

مطر مكرر/ لا شيء... سيكون مختلفاً عما كان ص39

لا وقت لي/ لن تستطيع أن ترسم الوقت... فهو لا مكان له ص46

ما بين قوسين/ سأملأ الكأس ثانية أيها النّديم ص52

ملاذ / كل فكرة مؤجلة ملاذ ص 58

فجر الخطى/ أخيراً... سيدرك التراب أنه على خطأ ص65

أنغام الحُجب/ يا روضة القلب ... ما زلت أصلي على عُشبكِ ص71

يظهر استخدام المكثف لصور الزمن بشكل يتماهى مع مكنون وخلجات الشاعر وعالمه الخارجي في مجموعته الشعرية (سبأ أخرى) محاولاً تعقب تشكيلاته الزمنية ورؤاه، واتحسس طبيعة الفعل وتلاحمه بين الماضي والحاضر والمستشرف من الزمن المرتبط بالنفس وزمنها ليشمل كل ما له علاقة، ايجابا او سلبا متفائلا أو متشائما .يتجلى في الأفعال التي وظفها: (سيبقى، سيعبر، ستعذرها، سيعْرى، ستُرفع، سيرزق، سيأتي، سأرتحل، سينبثق، ستظمأ، ستنسى، سأملأ، سيدرك)

لنا لقاء غداً ص22

لا وقت يعلمه

من مستحيل الرُّؤى يوماً

سينبثق

وفي نصه: ص8

سيبقى

كما الحلم الشفيف مهاجراً

فمن قصبِ الاحلام

ترى السَّرائرُ

ترى السَّرائرُ

يستشرف الشاعر القادم متجاوزا سيلان الزمن الكوني الرتيب محاولا بلوغ المستقبل متفائلا يضمد جراحه يتجلى ذلك في نصه من قصيدة (سيأتي الذي قد كان سيظلُّ ذلك الفجر معلقاً بالافق... حتى يكون)ص9

سيعبُرُ

هذا الوقت من طرقاتها

قريباً

وفي عينيه من عثراتها

سيعبُرُ

قوم الريح كل دقيقةٍ

الى واحة المعنى وسِّر شتاتها

لهذا يعد عنصر الزمن عنصراً فنياً مهما، ووسيلة من وسائل الشاعر في تشكيل تجربته الشعرية، وظف الشاعر مفردات الازمنة في مواطن عدة منها:ص13

سيأتي

الذي قد كان قبل أوانه

فماذا سيبقى من كؤوسك

هاتها

منطق البوح:

منطق البوح في شعر الخيّال ما يتعلق بالنزعة الصوفية وما ينتج عنه من ثنائيات ضدية،وصال/ انقطاع،القرب والبعد، التخلي، والتحلي، انفصال/اتصال، وخاصة على المستوى الدلالي العلاقة التقليدية بين الكلمات ووسائط المجاز، يدرك المتلقي ذلك المدلول باستعمال الذوق، والقراءة بعين القلب معتمدا على قرينة السياق الحالية والمقامية، وارى انه لابد من قارئ مختلف يتزود بوسائل تمكنه التواصل من فك شفرة هذا النمط ،والافق الجديد الذي تحمله النصوص والوضع التخيلي للشاعر وعلاقته بالمتلقي والسياق الذي يجمعهما، كل فئة ثقافتها و وضعها المعرفي في الخوض في المعارف وتلقيها وما ينتج من رؤى منبعها فعل الحب ومنطقها البوح به والتي يعبر عنه حالة التلقي للخطاب الصوفي كما في قوله :

(برق التجلّي

الوصولُ... آخر الاسرار النائية)ص29

كلُّ البدايات سرٌّ

لم يصل أحدُ

لما تنمْ رَصَدُ

فكيف يشرقُ

قمح الوصلِ في لغتي

وعن حقولي

حفلُ الماءِ يبتعدُ

يحّمِل الشاعر نصوصه رؤاه ونظرته العميقة الى الحياة والكون (تأملي) يخاطب الفكر والعاطفة، يثير افكارا وتساؤلات، وهذا راجع على ما يمتلكه من رصيد بيئي ومرجعية ثقافية كان بالإمكان رصدها من قبل القارئ سواء كان القارئ الوظيفي الذي يعتمد الاستغراق في المفردات المرئية المحسوسة والحث عن المعاني الغريبة او القارئ العضوي الذي يتدخل في النص لإعادة انتاجه او الاتيان بنص مواز تبعا لثقافته وقدرته الابداعية :ص16

ولي مدائنُ

من دخان أخيلتي

أبوابها

بمرايا الثلج تكتحلُ

وحدي

عن العالم الوهمي مختبئُ

ولستُ وحدي

فبالأسرار منشغلُ

أدقُّ باب سماء البئر مرتعشاً

يدي من الماء

فوق الماء تنهملُ

أنا

على ظهرِ هذا الحوت في سفرٍ

وليس يا خضرُ

لي صبرٌ فأكتمِلُ

لغة الشاعر:

وظف الشاعر أسلوب الانزياح، أحاول التقصي عن هذه الظاهرة الاسلوبية في نمط أدبي مختلف من حيث المرسل والرّسالة والشفرة وخاصة فيما يتعلق بالنص واللغة الصوفية، والرموز التي وظفها، كالمرأة/ الخمرة/ والوصل/ والتجلي، وان اللغة العادية لا تفي بالتعبير عن عالم الصوفية وان توظيف الشاعر للغة الصوفية بكثافتها ورمزيتها تثري النص وتتيح امكانات ثرية للمتلقي في تقصي المعنى:

سيَعْرى ص11

جمال الورد من ندمائه

وحيداً

وما للكأس غير سقاتها

الخمرة: وهي المحدثة لحالة السكر، وما من شاعر متصوف إلا وكانت الخمرة اساساً في قصائده ، وكيف لا وهي المتسع للقاء الحبيب والذوبان فيه وفيها تقول رابعة العدوية (متصوفة عرفت بالحب الالهي)3:

كأسي وخمري والنديم ثلاثة

وأنا المشوقة في المحبة رابعة

كأسي المسرة والنديم يدريها

ساقي المدام على المدى متتابعة

طواعية اللغة، وقدرة الشاعر على التنقل بين الحقول الدلالية، في أحداث هذا النوع من الانزياح، ممتطيا صهوة المجاز او كما يصورها، ابراهيم أنيس:" كالطائر الطليق يحلق في سماء من خيال وينشد الحرية فلا يسمح لقيود اللغة ان تلزمه حداً معينا لا يتعداه.."4.

وعند التقصي عن مواطن الانزياح في النصوص ذات المنحى الصوفي فإن مجموعة الخيّال الشعرية تكاد تكون طاغية ، كما في نصه :

(ما بين قوسين

سأملأ الكأس ثانيةً أيها النديم)

ص52

كأن بلقيسَ

حين الخيلُ راودها

تبايع الحُلُمَ المنفيَّ والحصْنا

وأن ليلَ بلادٍ

يشتهي قصباً

يحنُّ للوجع الأسمى

اذا غنّى

وخمرةُ النّاي

في قلبي تراقصُني

وبي خيالات صوفيّ فما تُفنى

اذن فهذه المواضيع الثلاث (المرأة، الخمرة، الحب الالهي)، هي المواضيع الاكثر التي ينزاح فيها النص الصوفي عن غيره من النصوص.

مفردات شاعرنا الخيّال تقوم بنيتها على التجافي عن المعنى المألوف كما في قوله في قصيدته (نخب الحلم

هو الآن يبحث عنه) ص69 :

كحُلمٍ صبيٍّ

في الشناشيل مُهمَلُ

كأمٍّ

بها نبضُ الحنينِ يهرولُ

كقلبٍ يدقُّ الريحَ

تحت قبابهِ ينام جنينُ الوقت

والفجر مقفل

كدفٍّ طريّ العشقِ

في يدِ طفلةٍ

وكما في نصه(ملاذ) ص58 :

أهوم نحو الحلم

والليل شارد

كأني

بوهم اللامكان مطارد

تقوس ظهر الشوق

من شدّةِ الرؤى

ونامت

بعيني كالملاذ وسائد

وجئت

وخمر الحزن يسكر خطوتي.

تضمنت النصوص السابقة مجموعة من الانزياحات الاستبدالية وانحرافاً لغويا جلياً انزاحت عبارة الشاعر عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي حقق عنصر المفاجأة للمتلقي تمنح النص الحيوية والاستمرارية" يرى د. صلاح فضل أن هذا المحور هو مجال التعبيرات المجازية التصويرية، من تشبيه واستعارة" 5:

نبض الحنين/ يدق الريح/ جنين الوقت/ طري العشق/ وَهْم اللامكان/ تقوس ظهر العشق/ الملاذ وسائد/ خمر الحزن / يسكر خطوتي.

اتسم معجمه الشعري اللغوي بجزالة الألفاظ وغزارة المعاني وعمق الصور الفنية وظف الموسيقى والايقاع لإيصال أحاسيسه وأفكاره للمتلقي، الذي رأيناه ينطلق من تجربة شعرية جديدة تحاول توحيد الرؤية الفكرية مع الرؤية الشعرية، مما أضفى على شعره خصوصية معينة و وهبه مذاقاً مميزاً. المجموعة فيها الكثير وبحاجة إلى دراسة منفصلةٍ .. يتميز بشعرٍ يحمل وعياً في الكتابة ووعياً في التجديد يعبر عن إمكانات الشاعر ومرجعياته الثقافية التي صقلت شخصيته الشعرية.

المصادر

1-حليفي، شعيب، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ط،1المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة،2004 ،ص25 .

2-الخيّال، أحمد جاسم: سبأ أخرى،ط1،منشورات الاتحاد الادباء والكتاب في العراق، بغداد، 2021.

3-محمد عبد المنعم خفاجي، الادب في التراث الصوفي، القاهرة: مكتبة غريب،(دط)، (دت) ص182

4-ابراهيم أنيس، أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية،(ط6)، 1978،ص339-340 .

5-صلاح فضل، علم الاسلوب،ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998.ص119.

استطيقا القصيدة
لقاءِ مع الشاعر الاستاذ محمد الشحات

حاوره / رزاق مسلم الدجيلي

للشعر امكنة وروح تسكن عالم الحب والجمال، وهو الشرارة التي تتولد من خلالها كل جماليات الحياة، ويقال دائما ان اللقاء مع النفس وتهذيبها، يمر من بوابة الادب عموما ومنها الشعر، فرغم كل منغصات الحياة وتعبها لابد ان نعشق حدود الكلمة النابعة من القلب والوجدان، فالشعراء هم امل الامة ولانريد ان نبخس فنون الادب الاخرى، لكن من رسم طريق الناس والجمهور والفقراء، والمحرومين بالورود والياسمين هو الشاعر، ومبدئيا ان الثورات والانتفاضات وكل مايتعلق بعملية التغيير داخل المجتمع تتحقق على يد الشاعر، ولنا امثلة لاتعد ولاتحصى في هذا المجال ومنها لاالحصر، الجواهري، كافكا، يسنين،، بوشكين، اراغون، ناظم حكمت، البياتي، لميعة عباس عمارة، عاتكة الخزرجي، نازك الملائكة، البردوني، امل دنقل، رشيدسليم الخوري، احمد سعيد عقل، نزار قباني، مرورا بكل الشعراء وعلى مر التاريخ، وهي سلسلة لاتنقطع وبكل مدياتها، واليوم نقف امام قامة شعرية وادبية كبيرة كتبت ومازالت تكتب القصيدة الشعرية، على مستوى الوطن العربي والعالم، له هيبة الحضور، وتسلط القصيدة الشعرية، انه الشاعر الكبير محمد الشحات، التقيت به، محاورا عن مجمل نتاجاته الادبية على مدى مايقارب الخمسة عقود خلت، فاجاب وبكل ترحاب عن مايدور في البال من أسئلة عن تجربته الادبية وعن واقع الحياة المعاش، وأمور اخرى، وكانت اسئلتي كالاتي:

* : استاذ محمد جميعنا يسأل عن الشرارة الاولى للشعر، كيف واين ومتى حصلت تلك الشرارة التي جعلت منك شاعرا كبيرا وانسانا مثقفا.

- : اعتقد ان اليتم والشعور بالوحدة ومحاولة إثبات الذات كانت من أهم الأسباب التى جعلتني اعرف على نفسى لأعرف اهم ما يميزها وما هى القدرات الخفية التى خلقها الله بداخلى فبدات مع الرسم والالوان ثم الحروف وبدأت بكلمات بسيطه ساعدنى ترددى على سور السيدة زينب لبيع الكتب القديمة ومع وجود حلقات هناك استمعت ال بعض التجارب الشعرية ومع مرور الوقت بدأت بالمشاركة وكانت رواسب هزيمه 67 والشعور بالانكسار تشكل داخلى غصة وحالة من الغضب لذا خرجت قصائدى غاضبة ومتمرده وكان ديوان الأول الدوران حول الرأس الفارغ 1974 والذي بدأ بإن لم تقدر أن ترفض شيءا تكرهه فانزع رأسك وابحث عن رأس تحملي كى تحيا حرا ابدي

* : الشعر هو كائن جميل، وحياة نتنفس من خلالها، يعيش معنا دائما، نحبه ونعشقه لأنه كل افراحنا واتراحنا، سؤالي هنا عن مجمل نتاجاتكم الشعرية وبودي ان نقرأ آخر قصيدة من قصائدك الممتعة.

- : انا بحمد الله على أنه منحنى تلك الموهبة لان بدون الشعر كنت انفجرت الشعر هو متنفسى ومن خلاله اتعامل مع العالم ويمكنك ان تعرف سيرته الذاتية من خلال ما كتبته من قصائد على امتداد ما يقرب من النصف قرن اما اخر ما كتبته كلٌ عاد إلى موطنه
كُلُّ عاد إلى موطنِهِ
قطع الطيرُ ملايينَ الأميالْ
وامتلأت عيناهُ بما شاهدَهُ
لم ينتبه إليها
أغرته أقفاصٌ لامعةٌ
وحدائقُ
وحقولٌ واسعةٌ
إلا أنّ الطيرَ أراد العودةَ
ما اشتاق لموطنه
إلا بعد حنين ظل يطاردُهُ
وهو يغادرُ
شوقٌ نام بداخلِهِ
ما استيقظ إلا لحظةَ
أن خافَ بألا يرجعَ
فامتلأ بشوقٍ حتى فاضَ
وأغرقَهُ
اصطحب الطيرَ وعادَ
لقد كان يظنُّ بأن الوطنَ
سيفرحْ
انقبض القلبُ
وقد شعر الطيرُ بغربتِهِ
حين رأى من سكنَ عِشاشا
أفنى كلَّ العمرِ لكى يكملَها
ورأى بشراً لا يعرفهم
حتى روائحُ بيتي غابت
كان غناءُ النهر تحوّلَ
طعمُ الماءِ تبدّلَ
كلُّ الاشياءِ اغتربَتْ عنك وعنى
من أخفى ضحكاتِ الاطفالِ
وأجبرها
ألا تصنعَ من أعواد الشجر سيوفا
لتقيم معاركَها
سرقوا أحلاماً
كانت تبحثُ عن أرضٍ كيما تنبُتَ
فجريتُ لأبحثَ عن أشجارِ الجُمّيزِ
وعن أوراقِ التوتِ
صدمتني غاباتُ الإسمنتِ
وحين غضبتُ
وحاصرني الغرباءُ
صرخت
- هذا وطني
- ما عادَ
دعوني أحمل كلَّ رُفاتِ الآباءْ
- لا يمكنكَ
فمن أين سيأتينا النفطُ
تماسكْ وتحاملْ كيما ترحَلَ
لا ترجعْ
إلا لحظةَ أن تُقبرَ
وِدِّع كلَّ معارفِكَ وأحبابِكَ ،
واملأ عينيكَ بما يكفيكَ
فما أحوجَك الآن
لكى تمتليءَ
وحاول أن تسكُنَها بداخلكَ
وما عاد يحق لعينكَ
أن تدخلها وتعودُ إليكَ
وسوف نجرَّكَ
إذا ما أكثرتَ النظرَ
فلا يمكنك بأن تأخذَ منها
ما صارَ لغيركَ
حاذر أن تمتعضَ
هنالك من قبضَ الثمنَ
بكيتُ عليهِ
ووقف على الأطلالِ
وأنشدتُ
مررُت على وطني
فلم ينتبه إليَّ
فبكيتُ
ووقفت على أعتابِكَ
كيما أدخلَ فأبيت
فأين أحطُّ رحالي
ومالي غيرك.

* : فيزيائية القصيدة تجاذب وتنافر، قبول ورفض، استاذ محمد متى تتحد مع القصيدة، لأطلاقها الى الوجود.

- : انا اعيش حالة مخاض بشكل مستمر وما يحدث من حولنا من تسارع وتلاحق فى الأحداث يجعل الشاعر وكأنه يسير على موج او رمال متحركة وأحيانا ما يحدث يفوق القدرة الاستيعابة لدى المبدع لانه ما إن يراقب ويهضم ما يحدث حوله ويحدد موقفه يفاجاة بحدث اخر يربك كل حساباته فهناك من يستطع تخطى ذلك وهضمه وهناك من لا يستطيع ما يحدث حاليا فى العالم وما حولنا شىء رهيب يجعل المبدع فى عملية تخبط رهيبة خاصة لدى الشاعر فما ان يبدأ فى تجميع مشاعرة وانطلاق الشرارة الاولى من قصيدته يدور حوله حدث اخر يربكة وما حدث لنا مع كورونا خير دليل على ماقوله

* : تعددت مدارس الشعر، وتعددت الاراء والافكار والاتجاهات معها هناك من يقول النثر والتفعيلة والعمود، والتشطير، والدوبيت، والقواما، وغيرها سؤالي لو سمحت من هو اكثر بقاء وفاعلية مع حركة المجتمع مع كل هذه الانواع جميعا

- : الشعر هو الباقى ما تستمع اليه وتشعر بأنه لامس داخلك وأحدث بك تغير ما ذلك هو الشعر فأنت عندما تقرأ الشعر القديم لا يدخلك إلا قصائد قليلة منه وكذلك قصيده التفعيلة وايضا قصيده النثر اعتقد اننا نهدر طاقتنا فى مثل هذا الحديث لان الشعر الصادق شعر باى شكل يكتب به المهم فى الأمر الصدق والرسالة التى يهدف من أجلها الشاعر إلى ايصالها إلى المستمع والقارىء المسألة ليست رص كلمات وجمل إلى جوار الجمل المسألة بعد أن تنتهى من الاستماع إلى القصيدة ما الذى بقى منهاداخلك هذا هو السؤال

* : هناك وعي مختلف ومتفق مع وجود النت في حياتنا، سؤالي بالتحديد هل ان عالم السوشل ميديا نعمة ام نقمة وخصوصا في مجال الادب، ماذا تقول في ذلك

- : هو نعمه كبيرة لو تم استغلاله بالشكل الامثل ما يعيش فى هذا العصر من المبدعين احسن حالا من من كان يعيش منذ ١٠٠ عام ناهيك عن ابعد زمنيا فالمبدع الأن هناك وسيلة سجلت له كل شاردة وارده واى باحث او دارس يمكنه ان يتابع اى مبدع لو له موقع او على صفحته الشخصية فهل تعلم أن الكثير من كتابات الكثير من الشعراء القدامى او من حتى ١٠٠ عام ضاع علينا ام آلان اعتقد بأن المبدع يعيش فى نعمة كبيرة ولكن لو احسن استغلال ذلك طبعا فى مثل هذه الأمور سوف يختلط الحابل بالنابل ولكن القدرة فى تميز الغث من السمين سهله فالعالم الافتراضي له الكثير من المحاسن والمثالب ايضا

* : شكرا لسعة صدرك مع كل الحب لحضرتك، وموفور التقدير والاعتزاز على هذه الاجابات القيمة،

- : اشكرك كثيرا اخي استاذ رزاق على هذاالحوار، ولقاؤنا قصيدة وشعر ومحبة دائمة

Among the crowds of the outdated city..

Written by:
Ali Nazar Shaalan

Translated by:
Saba Sabah Hassan

He was taking a seat and looking towards passers-by, trying to empower what is left of his welded years that covered by the rust.

He closed his eyes, putting his hands around his head, blowing him in sync with the ashes of the cigarette to recover for a few of those moments he felt that, under the constraint of life, he breathed a sigh of relief for a while when he felt warmly overwhelmed and smiled.

The moments of his childhood has bonded with scenes even if they were short, but they succeed to draw a colour on his grey reality. Surround him, sound of a school bell rung in his ears Recover with it the end of a tired school day, a feel of pleasure as the prisoner's at the day of his release, and a smell of the hot bread sneaked into his nose to grab a glimpse of one of the windy winter days as he eagerly waited for his mother to get the hot loaf out of the furnace and warm his hands and his inner hollowness. His widen smile expanded with outstretched of those scenes and others.

He was startled by the voice of the taxi driver when he was swearing and lamenting life tossed him in this country, fighting the crowded streets, injustice people, and lows.

He thrown his cigarette under his feet, and crush Her with a cynical laugh, then came back to his miserable grey spot.

في زحامِ المدينةِ البالِية ..

تأليف:
علي نزار شعلان

ترجمه:
صبا صباح حسن
العراق

جلس يناظرُ المارّةَ محاولاً ان يُعزّزَ ما تبقّى من لِحام سنينهِ الّذي يعلوهُ الصَدَأ.

اغمضَ عينيهُ واضعاً يديه حول رأسه ينفضهُ بالتزامنِ مع نفضِ رمادِ السيجارة ليستعيد لمحاتٍ من تلك اللحظات الّتي كان يشعر بها أنه على قيدِ الحياة ، تنفس الصعداء لبرهة من الزمن حين أحس بدفئٍ يغمرهُ وابتسم.

لحظاتُ طفولتهِ البسيطة امتزجتْ بمشاهدٍ حتى وإنّ كانتْ قصيرةً لكنها نجحتْ بإضفاءِ لونٍ على واقعه الرّمادي، صوتُ جرسِ مدرسةٍ على مقربة منه تردد في أذنيهِ إستعاد معه شعورُ نهاية يومٍ دراسيّ مُتعب والّتي لا تقلُّ فرحةً عن السجين يومَ إخلاءِ سبيلهِ، رائحةُ الخبزِ الساخن تسللت الى أنفه لتتسللَ معها لمحةٌ من أحدِ أيامِ الشتاء العاصِف وهو ينتظرُ أمّهُ بلهفةٍ لتُخرج الرّغيف الساخنِ منّ التنّور فيُدفئَ به يديه وباطِنه، امتدتْ ابتسامتهُ العريضة بإمتداد تلك اللمحات وغيرها حتى ..

أجفلهُ صوتُ سائق الأجرة وهو يسبُّ ويندُب الحياة الّتي رمتهُ في هذه البلاد مصارعاً زحام الشوارع وجُورِ العبادِ والشرائع.

رمى سيجارته تحت قدميهِ وسحقها بضحكةٍ مُتهكمة، ثُمّ مضى عائداً الى رماديتهِ البائسة.

“A Captive In Her Eyes”

Written by: Ali Nazar Shaalan

Translated by: Saba Sabah Hassan

He is thrown by a voice of her sigh
when she recited the last goodbye

The night deceives him with whispers
that manipulate the soul and abate the conscience

The night tells him, "Don't you stay?
There's not much left for dawn

Staring him with the various features
that restore light to his blind mind

Once he's been talking to her
Calm is dispersed under abundant conditions

And a tendon that mimics the face appears
in a shadow, with a roof, with a passing passage

And as soon as he gets away,
he throws himself into the midst of the stream

He is dragged into the mouth of memories
to burn and burn for the same inferno

"Oh night good for you, you got your wishes
And chose the hard sorrow "

"The morning came and
the doves cried at me in a sad, MELODIOUS voice."

The night chants defiantly:
"Does she adore the sound of the MELODIOUS?"

"Enough" he says to him with a tone that almost
ruptures the remnants of the sadness heart

"Oh heart, release a spirit
that has gone unnoticed

"Would alover tortured because he sought and fought
to become a worthy of love!"

Then the eyelids let down to save a man
His only guilt was to be a captive in her eyes

أسيرٌ بعينيها ..

تأليف: علي نزار شعلان

ترجمه: صبا صباح حسن/ العراق

يؤرقهُ صوتُ تنهُدها
حين تلت الوداعَ الأخير

يخدعهُ الليلُ بهمساتٍ
تداعبُ الروحَ وتغيضُ الضمير

يخبرهُ الليل "ألا تبقى
فما ضلّ للفجر شيىءٌ كثير"

يغدِقُهُ بشتّى السمات التي
تعيد النور لعقلهِ الضرير

فتارةً يدسّ كلاماً لها
يشتت الخَلدَ بموجٍ وفير

وتارةً يحاكي الوجه فيظهرُ
بظلٍ ، بسقفٍ ، بعابرٍ يسير

وما ان يراهُ قد همَّ يلوذُ
ليرمي بنفسهِ وسطَ الغدير

يجرُّهُ الى فوهةِ الذكرياتِ
ليَصلى ويَصلى بنفسِ السعير

"هنيئاً يا ليلُ فقد نلتَ مناكَ
واثرت الشّجَن العسير"

"بزُغَ الصباحُ وبكت
الحمائِمُ عَليَّ بصوتٍ حزينٍ هدير"

يردُّ الليل بكل تحدٍ :
"اما كانت تعشقُ صوتَ الهدير ؟"

"كفى" يقولها له بنبرةٍ تكادُ
تمزق بقايا القلبِ الحسير

"فأعتِق يا ليلُ روحاً بَلت
عن الدنيا وطالها وهنٌ كبير"

"فهلّ يعذّبُ عاشقٌ لإنه سعى وحاربَ
ليصبِحَ بالحُبِّ جدير !"

لِتُسدَلَ الجفونُ وتُنقِذَ رجلاً
ذنبهُ إنه كانَ بعينيها أسير

الدباغة

أيام زمان الجزء/ 59

إعداد: بدري نوئيل يوسف السويد

جاءت مفردة الدباغة في معاجم اللغة العربية من الفعل الثلاثي (دَبَغَ)، الأديم دبغاً ودباغة ويدبغه وأديم مدبوغ، والأديم في دباغه وفي دبغه ومنه مهنة الدباغة أي دباغة الجلود. (الأَدِيم: الجلد الذي يغلّف جسم الإنسان أو الحيوان).

وتعد دباغة الجلود من أقدم المهن التي عرفها الإنسان، منذ أن تكونت لديه ملكة التفكير، وفيما يبدو فأن معرفة الإنسان للدباغة كانت في بادئ الأمر، تعتمد على قيامه بسلخ جلود الحيوانات الكبيرة، ويلتف بها كما هي، ونظراً لأنها كانت تتعفن وتتلف بسرعة، فضلاً عما ينبعث منها من رائحة كريهة، فقد اخذ يبحث عن شيء يتغلب به على هذه العيوب، وربما يكون قد توصل في النهاية إلى استخدام أجزاء من بعض أنواع النباتات في عملية الدباغة.

الدباغة هي عملية تحويل جلد الحيوان بعد سلخه إلى المنتج المفيد أي (الجلد)، وتحفظ الجلد من التعفن وتعطيه مرونة ومتانة، والدباغة تصنيع الجلد ليصبح مرنا، أو يكتسب خواص أخرى مرغوبة.

الجلود المدبوغة بعضها سميك وثقيل، وبعضها الآخر رقيق، ويمكن صباغة الجلود المدبوغة وتلميعها حتى تصير منتجا لامعا وتعد الماشية المصدر الرئيسي للجلود، بينما تمثل جلود الغزال والماعز والغنم مصدرا آخر مهما للجلود، وهي ذات استخدام واسع، وتصنع بعض الجلود المدبوغة المميزة من جلود التماسيح، وسمك القرش والثعابين، وتستخدم الجلود المدبوغة في صناعه الأحذية المختلفة، والأحزمة والقفازات والمعاطف والقبعات، والقمصان والبنطلونات، وحقائب اليد إضافة إلى منتجات أخرى عديدة، ويصنع الجسم الخارجي لكرات اليد وكرات السلة من الجلد المدبوغ، وتستخدم بعض الصناعات السيور المتحركة المصنوعة من الجلد المدبوغ وتعتمد العربات والحافلات، على حوامل محمية بطبقة من الجلد، يتميز الجلد المدبوغ بمقاومته الميكانيكية العالية ودرجة تحمله الكبيرة.

وقد عُرفت الدباغة في بلاد آشور والتي كانت عاصمتها نينوى، من خلال النصوص المسمارية وأكدت على ما تمتع به الآشوريون من مهارة في مهنة الدباغة، كانوا يحصلون على الجلود من الحيوانات المذبوحة والتي تشمل ما يقدم من حيوانات، كهدايا للنذور وقرابين إلى الآلهة في المعابد، أو ما كان ينحر في الولائم الملكية. وتشير كلمة أشجب الواردة في النصوص إلى الدباغ عند الآشوريين ، ويبدو أن الدباغ كان قد احتل مكانة مهمة في المجتمع الآشوري، لأنه يلبي رغبات الناس في تلبية احتياجاتهم من الجلود المدبوغة، ولازالت الدباغة تعتمد على الحرفيين المتخصصين بدباغة الجلود وصناعتها، والنصوص التي تكلمت عن دباغة الجلود في بلاد وادي الرافدين عموما، وبلاد آشور على وجه الخصوص كثيرة، وقد وردت كلمة الدباغ بعبارة صريحة تدل على أن مهنة الدباغة كانت موجودة ورائجة في بلاد آشور، وهناك فرقا بين الجلود القديمة والجلود جديدة السلخ بدلالة ورود كلمة " مسلوخة " في سياق النص الآشوري، والتي تشير إلى أن عملية سلخ الجلود وتهيئتها للدباغة وتعتمد على جلود الحيوانات المذبوحة حديثا. حيث استخدمت مواد نباتية محلية منها قشور الرمان المجففة التي تسمى المدار وهناك مادة أخرى هي مادة العفص، ومن المواد الأخرى مادة دِباغ أو الأرطى زيادة على قشر الجوز ونبتة الدهناء الحمراء اللون الدابغة، أما أدوات الدباغة فكانت بسيطة وتعددت من الأحواض والمقاشط والمرواح والتي تتكون من عصا خشبية تنتهي برؤوس مدببة من الحديد تستخدم لرفع الصوف أو الشعر الذي يطفو في الحوض.

الأنواع الرئيسية من الجلد هي جلد نعل الحذاء، وجلد الطبقة العلوية من الحذاء الشمواه والجلود الناعمة. وتصنع جلود النعل من جلود الماشية السميكة، ومن جلود الحيوانات الكبيرة الأخرى، أما الطبقة العلوية للحذاء تصنع من الجلود الرقيقة للعجول الصغيرة، والماعز والحيوانات الصغيرة الأخرى، أو من شق الجلود السميكة إلى طبقات رقيقة، ويدخل نحو 80% من جميع الجلود المدبوغة في صناعة الأحذية.

تصنع الجلود الملساء غالبا من الطبقة الداخلية لفرو البقر بعد قشطها، وقديما كانت تستخدم جلود الماعز والأغنام في صناعه هذا النوع من الجلود، وتتميز هذه الجلود بنعومتها ومرونتها ومقاومتها للماء ودفئها، ويستخدم هذا النوع من الجلود في صناعة المعاطف والفساتين والبنطلونات وطبقات الأحذية العليا.

بعد تحضير الجلود ونزع اللحم والشعر تبدأ الدباغة وهناك عدة طرق، فالدباغة النباتية وهي احدى الطرق، وتتم في أحواض كبيره مملوءة بمحاليل الدباغة والتي تحضر من الماء ومادة التانين، يمكن الحصول عليها من بعض النباتات مثل أشجار البلوط أو أشجار الشوكران أو أشجار المانجروف أو أشجار السنديان أو أشجار الكيوبراكاو. يزيد العمال من قوة محلول الدباغة تبعا للوقت الذي تترك فيه الجلود في المحلول وعادة يبدأ تركيز محاليل الدباغة عند حوالي 0.5% وتزداد إلى أن تصل إلى 25% عند إتمام عملية الدباغة النباتية وتستغرق عملية الدباغة عادة من شهر إلى ثلاثة شهور، ولكن الجلود السميكة قد تتطلب دباغتها سنة كاملة. وتتميز الجلود المدبوغة بأسلوب الدباغة النباتية بصلابتها ومقاومتها العالية للماء بالمقارنة بالجلود المدبوغة بالكروم، والجلود المعاملة بالدباغة النباتية يتم تشبعها بمواد مثل الزيوت والدهون، وهذا التشبع يجعلها طاردة للماء وأكثر مقاومة للبلل، وتستخدم الجلود المدبوغة بالطريقة النباتية في تجليد الكتب، وصناعه السيور الثقيلة للآلات وفي صناعة بعض الجلود الخاصة، المصنوعة من جلود الأغنام وبعض جلود البقر والنعام ووحيد القرن وكلب البحر.

أما الدباغة بالكروم: فهي أكثر أنواع الدباغة المعدنية انتشارا، وتجرى باستخدام محلول دباغة من أملاح الكرومات (مركبات الكروم)، وقبل البدء بالدباغة تنفع الجلود في محلول من حمض الكبريتيك والملح، ويستمر نقع الجلود حتى يصل محتواها الحمضي إلى درجة معينه، ثم تزال الجلود وتغسل بعدها تنقل الجلود إلى أسطوانات الدباغة المملوءة بالماء وكبريتات الكروم، ويعطي محلول كبريتات الكروم المستخدم في دباغة الجلود لونا أزرق فاتح، وتتم هذه العملية خلال ساعات قليلة وأسرع من الدباغة النباتية، وتكون الجلود المدبوغة بالكروم أكثر مقاومة للحرارة والخدش، وأكثر مرونة وطرية بوجه عام، وتستخدم الجلود المدبوغة في الكروم في صناعة الطبقة العلوية للأحذية، والقفازات والمحافظ والأمتعة وتنجيد المفروشات، وعلى الرغم من جودة الدباغة بالكروم إلا أنه في بعض الحالات قد تعاد دباغة بعض هذه الجلود باستخدام الدباغة الصناعية (مواد دباغة صناعية) ومحاليل الدباغة النباتية وذلك لإكسابها خصائص معينة.

أما الطريقة الأخرى فهي الدباغة المختلطة: تتضمن استخدام كل من الدباغة بالكروم والدباغة النباتية وتستخدم الدباغة المختلطة في إنتاج جلود، ذات خواص معينه مثل جلود الملابس شديدة النعومة أو القفازات أو الطبقة العلوية للأحذية، ويتم في المدابغ الحديثة دباغة معظم الجلود بالكروم إما دباغة كاملة أو دباغة أولية تسبق الدباغة النباتية، وهذه الطريقة تسرع الدباغة الأولية من عملية الدباغة النباتية كما أنها تكسب الجلود المدبوغة نباتيا مرونة أكبر وتتم دباغة بعض نعال الأحذية نباتيا، ولكن عادة تجري لها دباغة أولية باستخدام الكروم.

وهناك طريقة للدباغة بالزيوت: تستخدم في جلد الشمواه المصنوع من جلود الماشية، ويزال الصوف من جلد الماشية ويتم بعد ذلك شق الجلد إلى طبقات، وتستخدم الطبقات القريبة من اللحم في صناعة الشمواه، ويبدأ العمل بكشط الجلد لإزالة الخلايا الدهنية، ثم يتم وضع الجلود المكشوطة في آلة محتوية على مطارق، لدفع زيت كبد الحوت داخل الجلد، وبعد اختراق الزيت للجلد تزال الجلود من الآلة وتجفف ثم يتم فردها وإعطائها مظهراً وبرياً (سطح صوفي لين)، وتستخدم هذه الطريقة في دباغة جلود السرج والجلود المستخدمة في الآلات، وعلى الرغم من جودة الجلد المدبوغ بهذه الطريقة ، إلا أنه تجري أحيانا دباغة تلك الجلود بالكروم قبل دباغتها بالزيت.

وتأتي معظم جلود الحيوانات المستخدمة في الدباغة من منتجي اللحوم والمجازر. وتجري معالجة الجلود قبل نقلها إلى المدابغ للحفاظ عليها من التعفن، وتعالج الجلود بوضع الملح على الجانب اللحمي من الجلد أو بنقعها في محلول ملحي (ماء مملح) أو بتجفيفها جزئيا ثم تمليحها أو بتجفيفها فقط، وبعد عملية المعالجة ترص الجلود في أسطوانات دوارة مملوءة بالماء، ويقوم الماء بإزالة الأوساخ والدم وبإزالة معظم الملح، وإحلال الرطوبة المفقودة أثناء المعالجة، وتبدأ بإزالة طبقة اللحم بعد عملية الغسيل والترطيب تمرر الجلود بآلة إزالة اللحم، وهي آلة مزودة بسكاكين حادة لإزالة كل الدهون واللحوم على الجانب اللحمي من الجلد، وتجري غالباً عملية إزالة اللحم من الجلود في أماكن تصنيع اللحوم، ولا توجد حاجة لإجراء هذه العملية داخل المدابغ، أما نزع الشعر يضع الجلد المزال منه اللحم في أحواض، تحتوي على محلول ماء الجير، الذي يحتوي على كمية صغيره من كبريتيد الصوديوم، ويقوم ذلك المحلول بإضعاف جذور الشعر بالتأثير الكيميائي، وخلال أيام قليلة يسقط الشعر، ثم يمرر الجلد بعد ذلك على آلة نزع الشعر والتي تعمل على إزالته بصورة كاملة، ويحتفظ بالشعر لاستخدامه في صناعه اللباد ومنتجات أخرى، وبعد إزالة الشعر تعاد عملية إزالة اللحم من الجلد لإزالة قطع الدهن الصغيرة المتفككة أثناء عملية نزع الشعر ثم يغسل الجلد بماء نظيف. وتجرى عملية ضرب الجلود بعد إزالة الشعر وذلك بوضعها في حمام من الحامض متوسط القوة لمعادلة محاليل نزع الشعر المتبقية بالجلود وتعد

هذه العملية ضرورية نظرا لأن المحاليل المستخدمة في الدباغة محاليل حمضية، وتضاف الأنزيمات إلى حمام الضرب لتفكيك البروتينات الموجودة في الجلود التي قد تتداخل مع عمليات الدباغة.

يعرض الجلد المدبوغ نباتياً والمجهز لإنتاج نعل الأحذية، لعملية قصر لونه، ثم يعالج بـ كبريتات المغنسيوم وبالزيت ثم يزلق بمستحلب الصابون أو الشحم وأحياناً الشمع، ثم يصقل تحت دولاب معدني ثقيل يحدد ثقله السماكة والصلابة المطلوبة في المنتج، يقشط الجلد المدبوغ بالكروم والمعد لإنتاج وجه الأحذية حسب السماكة المطلوبة ويعالج بمحاليل عدد من المركبات الملونة في برميل دوار لتلوينه باللون المطلوب ويوجد في الأسواق أكثر من مئة نوع من ملونات الجلد المختلفة، ومن المهم أن يتم تشرب مادة التلوين ضمن شبكة الكولاجين في الجلد، تجفف الجلود بعد تزييتها وتلوينها لتكون جاهزة للإنهاء.

إنهاء الجلد بعد الدباغة وتحويله إلى جلد مدبوغ هي من أعقد العمليات. إنها عملية فنية أكثر منها علماً. وهي ليست ببساطة صبغ سطح الجلد لتغطية العيوب في المراحل السابقة أو لتحسين المنتج عن طريق إملاء الخدوش فيه. إنها عملية تمس المتانة وجمال الجلد وتؤدي دوراً مهماً في نوعية المنتج ويجب أن تكون جزءاً من عملية الدباغة بكاملها، يتطلب إنهاء الجلد ثبات الصبغ المستخدم ومرونته، وذلك لأن مادة الإنهاء التي لا تملك التصاقاً كافياً ومرونة كاملة سوف تتقشر وتتكسر، كما يجب أن تكون قادرة على التأقلم مع تغيرات الحرارة أو الرطوبة والجفاف إضافة إلى تقبلها عمليات التلميع العادي في أثناء الاستعمال.

.....

المصدر : مواقع التواصل الاجتماعي

العراقية الاسترالية

Wednesday
AL-IRAQIA No. 829
27 July 22 • Year 17

خمسون عاماً على استشهاد غسان كنفاني [*]

فراس حج محمد/ فلسطين

اعتمدت وزارة الثقافة الفلسطينية هذا العام (2022) عام الاحتفاء بغسان كنفاني، ويكون قد مرّ على استشهاده- رحمه الله- خمسون عاماً بتاريخ: 8/7/2022، وقد أعدت الوزارة لذلك العدة بعقد مؤتمرها حول الرواية، وتنظيم احتفالية خاصة إحياء للذكرى الخمسين لاستشهاده، وتخصيص جائزة باسم "جائزة غسان كنفاني للرواية العربية"، وقد أعلنت الفائزين بالقائمة القصيرة في 30 من حزيران، وهم أربعة من الروائيين العرب. وخلال الاحتفال الذي أقامته وزارة الثقافة إحياء هذه الذكرى في قصر رام الله الثقافي يوم 17 تموز 2022، أعلنت عن فوز الروائي السوري المغيرة الهويدي صاحب رواية "قماش أسود" بالجائزة الأولى. كما تم الإعلان عن تكريم الروائي السوري حيدر حيدر بدرع غسان كنفاني.

هذا شكل من أشكال الاستعادة الممكنة إبداعيا لغسان كنفاني الروائي والمبدع. لكنها لا تكفي، فلم يكن غسان أديبا وحسب، لذلك لا بد من فكرة الاستعادة الثورية لغسان كنفاني، واستعادته مثقفاً، يعي ماذا تعني كلمة مثقف، هذه الاستعادة التي تعني كما قال محمود درويش في رثائه: "اذهبوا إلى اسم غسان كنفاني واسرقوه، أطلقوا اسمه على أي شيء، وعلى كل شيء، أطلقوا اسمه عليكم واقتربوا من أنفسكم، من حقيقتكم، تقتربوا من الوطن". (وداعا أيتها الحرب... وداعاً أيها السلام، ص23)

ولد غسان كنفاني في مدينة عكا، في الثامن من نيسان عام 1936، واغتيل في الثامنِ من تموز عام 1972، إذاً، فستٌّ وثلاثون سنة هي كل سنوات عمر غسّان كنفاني، منها اثنتا عشرة سنة عاشها في فلسطين، وبعدها أخذته الريح إلى الكويت وسوريا ولبنان، ليستقرّ في بيروت. في ستّ وثلاثين سنة، ولد، وتشرّد، ودرس، ودرّس، وسافر، وأحبّ وراسل، ومارس السياسة، واشتغل بالصحافة. نقد، وكتب المقال، والقصة، والرواية، والمسرحية، والبحث والدراسة.

ستة وثلاثون عاما كل ما منحته إياه الحياة، إلا أنه ترك الكتب المهمة والمقولات الخالدة، والروايات الملهمة. لم يترك الكثير الكثير، لكنه ترك المؤثر الكبير في هذه الكتب، ربما لم تتجاوز كتبه العشرين كتابا، لكنها شكلت مكتبة ثرية بحد ذاتها للفكر العربي. كتبٌ لن يستطيع دارس للأدب الفلسطيني أو السياسة الفلسطينية تجاوزها أو التغاضي عنها أو إهمال تقديرها، عدا ريادته المهمة في الأدب "الصهيوني" والمقال "النقدي الساخر".

ست وثلاثون سنة استطاعت أن تجعل من غسّان كنفاني علامة إنسانية تتخطّى حادثة الاغتيال إلى ما يتجاوزها ويجعل الفكرة، فكرة الاغتيال، فاشلة، وعديمة الفائدة، فالفكرة لا تموت أبدا، والشخص لم يمت أيضا، فها هو مستعاد حيّ يرزق، نقرأه ونحاوره ونتجادل معه على موائد الفكر والثقافة. فأي اغتيال هذا الذي سيسكت صوتاً كصوت غسّان أو يمحي صورة كصورته؟

ست وثلاثون سنة كانت تُغني عن مئات من السنين، فربما عاش أحدنا قرنا ولم يذكره التاريخ أبدا لا من قريب ولا من بعيد. فعُمر غسّان الذي لم يكن قصيرا ولن يكون، يعلّمنا أن العمر ليس بالسنوات وعددها، وإنما ماذا فعلت بعمرك هذا الممنوح لك. اغتيل غسّان كنفاني شابّا إلا أنّ ذكره ما زال خالدا باقيا شابا، متوهّجا لا يموت. هذا العمر على هذه الشاكلة هو رسالة إنسانية مؤداها أن تعمل وتجدّ من أجل أن تبقى، فحرام أن تذهب فرصة العمر سدى. وصف الكاتب السوري ياسين رفاعية غسّان كنفاني في روايته "من يتذكر تاي" أنه كان يسابق الزمن ويعمل كثيرا ولم يكن ينام كما يجب، وكأنه كان يشعر بأن يد الموت ستخطفه، فكان في صراع مع الوقت.

ويشهد على ذلك ما أنتجه فكر غسّان ورواياته وحياته التي عاشها من حيوية ونقد واستحضار منذ اغتياله إلى اليوم، ففي الوقت الذي كنت أستعدُّ فيه للكتابة عن غسّان كنفاني ومشروعه الإبداعي الروائي القصصي والنقدي أعثر على مجموعة كتب تحتفي بهذا الإرث، جمعت بعد اغتياله، رحمه الله، وقد تكون غير استقصائية، إلا أنها كتب مهمة في دلالتها الاحتفائية بغسّان ومشروعه الفكري، وهذه الكتب هي:

"فارس فارس"، مجموعة مقالات نقدية ساخرة كتبها غسان. نشرت في الأصل أسبوعيا في ملحق جريدة الأنوار اللبنانية ومجلة الصياد، تصلح هذه المقالات لدراسة شخصية "غسان كنفاني ناقداً".

"غسان كنفاني.. الشاهد والشهيد- فصول من سيرته الإعلامية والسياسية" ، ويشتمل على بعض ما اشتمل عليه كتاب "فارس فارس" من مقالات نقدية ساخرة، ولكنه يضيف إليه بعض اليوميات.

"معارج الإبداع"، صفحات من سيرة غسّان كنفاني ومجموعة من القصص والمقالات والحوارات، والمحاولات الشعرية التي لم تنشر سابقا. تمخّضَ عن هذه المحاولات قصيدتان تحدثتُ عنهما في مقال خاص بعنوان "غسّان كنفاني شاعرا". لم تؤهّل هاتان القصيدتان غسّان كنفاني ليكون شاعرا، لكنهما يؤشران على البداية الطبيعية لولادة غسّان الأديب، أسوة بالعديد من الأدباء الذين بدأوا حياتهم الأدبية بكتابة الشعر، ثم ما لبثوا أن نبتوا نباتا حسنا في تربة السرد، قصصاً وروايات ومسرحاً. أو أصبحوا نقادا وتركوا الشعر والرواية كما كشف عن ذلك الكتاب الجديد عن إدوارد سعيد "إدورد سعيد- أماكن الفكر".

"غسّان كنفاني- صفحات مختارة من دفتر اليوميات (1960-1965)"، والكتاب في الأصل مجموعة من يوميات كنفاني المنشورة أولا في مجلة الكرمل، العدد الثاني، مارس، 1981، ثم صدرت في كتاب مستقل صغير الحجم، عن دار راية للنشر في حيفا عام 2018، وقدّم له الناقد صبحي حديدي، ولا جديد فيه، فهذه اليوميات موجودة في كتاب "الشاهد والشهيد"، وفي كتاب "فارس فارس".

هذه الكتب الأربعة المذكورة أعلاه الخاصّة بجمع إرث غسّان كنفاني تتقاطع فيما بينها، وحبذا لو تمّ تحريرها لتكون في كتاب واحد، دون تكرار. فهل من دار نشر، صاحبها شجاع يفعل ذلك؟ لتوفر للقارئ والباحث ما هو في هذه الكتب بين دفّتي كتاب واحد، وزيادة البحث في المصادر من صحف ومجلات وأرشيف الشهيد الخاص لدى العائلة والأصدقاء والمعارف عما هو غير منشور إلى الآن؛ وصولا إلى تأسيس **"مكتبة غسّان كنفاني"** لتحتوي كل ما كَتب، وكلّ ما كُتب عن غسّان كنفاني وإبداعاته. لقد حان الوقت لتأسيس مثل هذه المكتبة، كردّ فعل حضاري على كل من اتخذ الدم والعنف لغة في إقصاء الفلسطيني ومحو وجوده وذاكرته.

تجدر الإشارة إلى أن عالم غسّان كنفاني الإبداعي ما زال مشعّاً، مستلهما، ولن يكفّ الكُتّاب عن الكتابة عنه نقدا ومراجعات، فعلى سبيل المثال لا الحصر أشير إلى ما كتبه يوسف اليوسف في كتابه "رعشة المأساة"، وهو مقالة موسعة لا تتجاوز ستاً وسبعين صفحة، ورضوى عاشور وكتاب "الطريق إلى الخيمة الأخرى"، وفاروق وادي وعلاماته الثلاث في الرواية الفلسطينية، وفيصل دراج وحديثه عن كنفاني في كتاب "ذاكرة المغلوبين- الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني"، وعشرات الأبحاث الجامعية والدراسات المحكمة ومئات المقالات. أيضاً ثمة كتابات إبداعية استلهمته في الرواية والشعر والقصة القصيرة، وقد تناول الدارسون كل تلك الجوانب في تتبعهم لغسّان كنفاني وأثره في الكتّاب العرب والفلسطينيين على وجه التحديد، والأثر الذي تركه غسّان في مدونة السرد العربية والفلسطينية، سأشير إلى بعضها فيما يأتي.

لماذا يستعاد غسّان كنفاني بهذا الشكل المكثّف ليكون حاضراً عند الجيل الجديد من المقاومين والمثقفين والأدباء والفاعلين السياسيين، الوطنيين منهم على وجه التحديد؟

أظنّ أن في أدب غسان كنفاني الكثير من المفاصل الإنسانية العامة، فلو تمّ تجريد الظاهر الفلسطيني في ما كتبه غسان كنفاني، فسيجد الناقد المتبصّر أن كنفاني كان يكتب أدبا إنسانيا عاما؛ صالحاً لكل زمان ومكان، لأن التجارب الإنسانية المأساوية تتشابه في الكليات، بل إنها- كثيرا- ما تتطابق في الجزئيات والتفاصيل، لذلك تستعاد مقولات غسان كنفاني: لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ والإنسان موقف، والفكرة لا تموت، ولا تمت قبل أن تكون ندا، وغيرها الكثير مما يلتقي مع تجارب الناس، شعوبا وأفراداً، فالمسألة لم تعد تقف وتنحصر على حدود التجربة الفلسطينية، ولذلك فإن خبر العثور على جثث 46 شخصاً داخل شاحنة في تكساس الأمريكية، (كما أوردت الخبر صحيفة القدس العربي في 28 يونيو 2022) يعيد إلى الأذهان- وخاصة للقارئ العربي- قصة رجال غسان كنفاني الثلاثة الذين ماتوا في ظروف مشابهة جداً. وقد تتبعت شيئاً من هذه الحوادث في كتاب "استعادة غسان كنفاني" في موقعه، وخاصة في الهجرات غير الشرعية أو الحالة السورية؛ ورحلة اللجوء والفرار إلى أوروبا وموت الكثيرين بطريقة مماثلة.

لم يكن الاستشهاد أو الاغتيال ما رفع غسّان إلى هذه المرتبة من الحضور في السياق الثقافي والفكري بل ما قدّمه من إبداع، هو ما جعله مؤهّلا لريادة حقول متعددة في صلب الثقافة الفلسطينية والعربية والإنسانية، فقد اجتمعت في شخصه كل مقومات الإبداع من الكتابة إلى الرسم، ومن السياسة إلى الصحافة، ومن التأليف إلى الترجمة، فغسّان يعدّ من أوائل من تنبّهوا إلى ضرورة الترجمة من العبرية وإليها؛ جاعلا من كل ذلك وسيلة لخدمة قضية مركزية في حياته، فكل ما كان يفعله غسّان فعله من أجل فلسطين، وليس لأهداف ذاتية ونخبوية خاصة، وفي هذا السياق، ولمن يعرف دقائق توظيف غسّان كل شيء في حياته من أجل القضية السياسية، تبدو رسائله إلى غادة السمان غير مبررة، أو لم يستوعبها الوسط الثقافي آنذاك، علما أن غسّان كتبها وهو يمارس حقه كإنسان في أن يحبّ ويعبّر عن هذا الحب، وقد أثّرت فيه علاقته بالأديبة غادة السمان التي قال عنها- كما يروي ياسين رفاعية في روايته "من يتذكر تاي": "هذه المرأة دمّرتني".

في عام (2020)، عام الحجر الصحي، والإغلاقات المتكررة، انتبهت إلى غسّان كنفاني أكثر من ذي قبل، لأعود للكتابة عن إبداعاته؛ عدة مقالات، تناولت فيها روايته "رجال في الشمس"، هذه الرواية التي لا ينتهي الحديث عنها مهما كُتب حولها، فكل مشهد فيها بحاجة إلى دراسة ومن عدة وجوه، كما توقفت عند كتاب "أطفال غسّان كنفاني والقنديل الصغير"، فتحدثت عن أطفال غسّان وقصته الوحيدة التي كتبها للطفلة لميس ابنة اخته، وأهداها إياها في عيد ميلادها، وهي قصة "القنديل الصغير" التي طبعت عدة طبعات. وتحدثت عن مقالات كتاب "فارس فارس" كما أسلفت الإشارة آنفا، بالإضافة إلى أنّني توقفتُ عند قصيدتين لغسّان وبحثت فيهما جانبا من شخصية غسّان الإبداعية تحت عنوان "غسّان كنفاني شاعراً".

هذه المقالات أستعيد فيها مشروع كنفاني من زوايا متعددة غير محصورة بفنيات السرد العربي والفلسطيني. بل أتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد؛ فها هو غسان كنفاني بعد نصف قرن على اغتياله ما زال داخلا في صلب النقاش السياسي والثقافي والإبداعي الفلسطيني، حاضرا رغم الغياب، متنوعا في تجليات هذا الحضور، متعاليا على كل ما هو جانبي وتافه وغير حقيقي أو غير عمليّ، وسيظلّ غسّان حيا ما دامت السموات والأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويشهد على هذا الحضور استعادة الجيل الجديد لغسان كنفاني الإنسان والمناضل والمثقف، ومن أمثلة ذلك حضور غسان لدى أبناء الجاليات العربية في أوروبا وأمريكا، من ذلك ما دأبت على فعله واستلهامه الناشطة السياسية والثقافية، الفنانة الليبية دانيا زيتوني.

ولدت دانيا في مدينة تلاهاسي عاصمة فلوريدا، وهي من أم سورية، وأب ليبي. وتحمل شهادة جامعية من جامعة USF في العلاقات العامة، وحالياً تعيش في مدينة ديترويت بولاية ميشيغان، تدرس فن الرسم، وقد جسدت في رسمها معاناة الشعب الفلسطيني، ورسمت الأديب الفلسطيني غسان كنفاني، لقد قرأت الفنانة دانيا معظم مؤلفات كنفاني باللغة الانكليزية، فغسان كنفاني قامة أدبية كبيرة، ومعروف جداً، وخاصة في الجالية الشابة الفلسطينية.

ولم يقتصر اهتمام هذه الشابة على قراءة أدب غسان والتأثر بأفكاره، بل وظفت أيضا أقواله وصنعت من بعضها قطع إكسسوارات للزينة، وبيعت بشكل هائل، وكذلك ما صممته من صور لغسان (posters).

فغسان ما زال حيا لم يمت بدليل أن كتبه تباع بأكثر من لغة، ويصنع من كلماته قلادات تزيّن الصدور، وهكذا فإن محاولة اغتياله فشلت بمعنى ما، وبدل من أن يمحوَ الصهاينة اسمه وأثره عاد بشكل أقوى ومنح حيوات عديدة للزمن القادم، ولعدة أجيال قادمة من أمثال هؤلاء الشباب الرائعين، والفتيات الرائعات.

وعدا دانيا وما استلهمته من أعمال فنية تشكيلية ذات صلة بغسان كنفاني، فإن كثيراً من الفنانين التشكيليين أو رسامي الكاريكاتير قد استعادوا غسان برسوماتهم وأعمالهم، أذكر على سبيل المثال لا الحصر محمد نصر الله ورائد القطناني وأحمد المحسيري.

وفي مجال الكتابة الإبداعية، فإن العديد من الكتاب قد استعادوا غسان كنفاني ضمن مشاريعهم الأدبية بشكل أو بآخر، فاستعادوه مثقفاً، حاضرا في الشعر والروايات والأعمال الدرامية، فقد تحوّل غسان- ليس بفعل الموت وحده، بل بفعل المواقف والإنتاج الأدبي- إلى ملهم كبير للجيل الجديد من الكتاب، وقد أشرت في الكتاب "استعادة غسان كنفاني" إلى التأثر الإبداعي به، كما عند الكاتب المصري عمرو العادلي في روايته "رجال غسان كنفاني"، وحضوره أيضا في رواية "الرقص الوثني" للكاتب الفلسطيني إياد شماسنة، كما يستعيده للحديث عنه الروائي الفلسطيني إبراهيم نصر الله في روايته الجديدة "طفولتي حتى الآن"، كما سبق أن استحضره واستعاده مثقفا ومناضلا في ثنايا روايته "أعراس آمنة" التي خصصها نصر الله للحديث عن غزة وحربها التي وقعت عام 2008.

ولعلّ الكاتب والشاعر الفلسطيني عمر صبري كتمتّو من أوائل من استعاد غسان إبداعياً من خلال مسرحيته "بيت ليس لنا"، إشارة لمسرحية غسان كنفاني "عالم ليس لنا"، وقد كتب كتمتو هذه المسرحية كما جاء في أحد الحوارات التلفزيونية معه عام 1983، وبقيت "حبيسة الأدراج" حتى تمت طباعتها عام 2019، ضمن مبادرة لمؤسسة سيدة الأرض.

كما يعود كنفاني إلى الواجهة من جديد في كتاب الكاتب تمثُّي برنن "إدورد سعيد... أماكن الفكر" في مواضع متعددة من الكتاب، وأهمها إشارة المؤلف إلى استياء غسان كنفاني من موجة بعض الكتابات العربية المغرقة في التشاؤم بعد هزيمة 1967، ومنها إحدى مقالات إدورد سعيد نفسه، واصفا- برنن - غسان كنفاني بالروائي الفلسطيني البارز، وكان يرى كنفاني تلك الكتابات "حفلة ماسوكية لشتم الذات" (ص184)، وفي موضع آخر من الكتاب يقول عن أسلوب غسان كنفاني أن "النثر المفتت الذي يستخدمه غسان كنفاني وتعدد الرواة عنده، على سبيل المثال، ينجحان في التعبير عن انعدام قيمة الحياة عند العمال الوافدين إلى الخليج، بحيث يلتقي القدر والشخصية في سلسلة من التصادمات المدمرة". (ص205) يشير هذان الموضعان من الكتاب إلى ذلك الوعي الذي كان يتمتع به غسان كنفاني، وتلك الرؤيا التي ما زالت صالحة للاستعادة بعد خمسين عاماً من استشهاده.

وأما الكاتب المقدسي محمود شقير، فيعيد كتابة سيرة غسان كنفاني بأسلوب مبسط، يناسب الفتيان والفتيات في كتابه الجديد "غسان كنفاني إلى الأبد" الذي صدر بهذه المناسبة (الذكرى الخمسون لاستشهاد غسان كنفاني)، وهو كتاب كما جاء على لسان مؤلفه: "يغطي سيرة غسان ويقدم عرضاً لأهم كتبه". (موقع الأيام الفلسطينية، 9/7/2022)

بالإضافة إلى هذا وذاك، حضور مقولة غسان الشهيرة وسؤاله الأهم: "لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟" عند كثير من الكتاب والصحفيين، وصارت تستعاد هذه الجملة عند حوادث الموت المجاني للاجئين سواء في البحر أو في البر، فحضرت مع الفارين عبر قوارب الموت في البحار، أو مع عبور اللاجئين السوريين إلى دول الشتات الأوروبي.

وبالمجمل، فإن الناقد الأستاذ الدكتور عادل الأسطة يقرر أن "حضور غسان كنفاني في الأدبين العربي والفلسطيني يستحق الدراسة"، وكان هو نفسه- كما كتب على صفحته في الفيسبوك بتاريخ: 8/8/2018- أنه "قد توقف عند ذلك في كتابه أسئلة الرواية العربية: أولاد الغيتو- اسمي آدم نموذجا"، وهو الكتاب الذي خصصه الأسطة لدراسة هذه الرواية التي كتبها الكاتب اللبناني إلياس خوري.

وينبغي للباحث- وهو يضيء على موضوع استعادة كنفاني وحضوره المتجدد- ألا يتجاوز عما تكتبه الكاتبة غادة السمان بشكل دائم سنويا، لتستعيد ذكرى ولادته، ومن يعود إلى أرشيف الكاتبة في موقع صحيفة القدس العربي سيرى ذلك الكم من المقالات المليئة بالحب والإعجاب والتقدير لهذا الكاتب الفذ، والمثقف المبدئي، والعاشق المهووس بحبيبة لا تنال، وكأنها في كل مرة تؤكد أهمية حضوره في وجدانها ولغتها وفكرها.

يقول الكاتب والمفكر الفلسطيني عادل سمارة في مقالة له بعنوان: (المثقف واحد فإذا تعدد خان): "يتمترس المثقف وراء وعيه، كما يتمترس المقاتل وراء سلاحه"، وهكذا تبدو لي صورة غسّان الحقيقية في كل ما كتبه، متمرسا وراء وعيه، ثابتا واحدا لم يتعدد؛ فظلّ مثقفا نقيضاً للمثقف السلطوي والمدجن؛ يمتاز ببصيرة ووعي تامّين، سياسي وثقافي، وعي أنتج كاتبا مناضلا اتسقت أفكاره المجردة وكتاباته الإبداعية والبحثية بسلوكه مناضلا ومثقفا، فكان دائما حاضرا في بؤرة الصراع. هذه الحالة من صمود المثقف، أعادت إليّ ما قاله يوما الشاعر السوري الراحل نزار قباني؛ معرّضا بالكتّاب وجبنهم: أَيُّهَا الغَاضِبُ الكَبِيرُ تَأَمَّلْ
كَيفَ صَارَ الكُتَّابُ كَالخِرفَانِ إِنَّ أَقْسَى الأَشْيَاءِ لِلنَّفْسِ ظُلْماً
قَلَّمٌ فِي يَدِ الجَبَانِ الجَبَانِ

فلا يصح أن يتم تناول غسان في النقد تناولاً أدبياً صرفا على قواعد الأدب وحسب، بل ربما كان تناول غسان أدبيّا هو الغلالة الشفيفة لتجلية صورة غسان المثقف الواعي الذي نحتاج لسيرته ومواقفه في الوسطين السياسي والثقافي، وخاصة عند ممارسة الكتابة المنتمية إلى حقل المقاومة، بوصف غسان كنفاني أحد أركانها وأيقوناتها الساطعة الحضور. فـ "النقد يجب أن يكون أكثر من تقييم للروايات أو القصائد، وأن يكون بدلا من ذلك تفسيراً سياسيّاً اجتماعيا لكل الأنشطة اللغوية التي يقوم بها البشر أو لمعظمها" (إدورد سعيد- أماكن الفكر، تِمُثي بِرنَن، ص155)، فروايات غسان وقصصه ومسرحياته هي وثائق سياسية واجتماعية تصور الحياة الفلسطينية والعربية.

لم يكن غسّان مثقفا انهزاميا، استسلاميا، مدجّنا، بل كان قويا وشرسا، فقد كان مثقفا منتميا ومشتبكا وعضويا، ومثقفا قلقاً، أدخله في سياق الحياة الثقافية والسياسية الفلسطينية والعربية والعالمية، فكان مثقفا سياقيا اجتماعيا، رؤيويا تغييرياً، ولم يكن خاملا ولا خائنا ولا مزيّفا، وليس مثقفا انطوائيا كذلك، وليس من جماعة "المثقفين الرسميين" الحاليين، عرباً وفلسطينيين، بل كان دائما في صلب الحدث السياسي والاجتماعي والثقافي. كان مثقفا له بصمته التي تركها في وعي الأجيال التي عرفته حق المعرفة، فانحازت إلى ما انحاز إليه وأنصفت مشروعه الثقافي والسياسي دون أن تبحث عن مسميات أو مناصب أو امتيازات. هؤلاء هم ورثة غسّان الحقيقيون، وما عداهم فمزيفون، ولو حملوا أرفع الشهادات، أو حازوا الأوسمة التكريمية واحتلوا المناصب العليا.

لا شك في أن الكثيرين كتبوا عن غسان كنفاني من وجوه متعددة، دون التركيز على صورة غسان كنفاني المثقف من خلال قراءة سياقية ثقافية لسيرته ولإبداعاته المختلفة، فجاء كتاب "استعادة غسان كنفاني" ليعيد أسئلة المثقف ومساءلته في السياق الآنيّ، وقد غصت الساحة بكل ما هو زائف، سياسيا واجتماعيا وثقافيا ودينيّاً، وهذا ما حاولت فعله عندما تناولت كتاباته ومواقفه وتمددها السياسي والمعرفي والثقافي في وعي الجيل الحالي، هذا الجيل التي قد يظن البعض أنه جيل متقوقع على ذاته محصور في التكنولوجيا، لكن الشواهد ساطعة أنه جيل واعٍ سياسيا، ومثقف ثقافة عملية تحميه من الوقوع في شرَك الأمتهان ليتعالى على "نظام التفاهة" التي تحاول كثير من الظروف حشره فيه، لكنه يأبى إلا أن يكون حارساً أميناً لمنظومته القيمية الوطنية والإنسانية الراسخة.

سيبقى أدب غسان كنفاني مناضلاً نيابة عنه، صامداً في وجه الإرهاب الصهيوني، مستعادا من أجل هذا الغرض كما قال الروائي إبراهيم نصر الله في روايته أعراس آمنة: "انظري الآن، أحيانا أخرج لحوش البيت، وأرى الموت يُحَلِّق في طائرة الآباتشي أو طائرة أف 16، فأعود للداخل بسرعة أحمل مجلدات غسان، أرفعها إلى السماء وأصرخ في وجه الطيّار: تستطيع أن تفعل كلَّ شيء ولكنك لن تستطيع قتل هذا، لقد سبقك وفُزنا بهذا كلّه، هل نسيتَ؟". (ط4، ص69)

لا بد من أن اسم غسان كنفاني ومواقفه وأعماله ومقولاته ستستعاد كلما استشهد مقاوم، وكلما رأينا مخيما واقفا متحديا مشاريع السلام الهزيلة، أو امرأة تناضل، أو ولدت ثورة أو مواجهة مع المحتل، أو كلما اغتيل قائد أو كاتب، أو رأينا مثقفا يدفع حياته ثمنا لمواقفه، لأنه اختار ألا يسكت على ضيم، فالناس في رواياته هم نحن بكل ما فينا، يذكرني هذا باستعادة غسان كنفاني في نعي الرفيقة ابنة الجبهة الشعبية المرحومة وداد قُمَري، وما نقل عنها وما نقله رفقاء في الجبهة وما نشره موقع الهدف الإلكتروني في نعيها فكتب: "رحيل بطلة "برقوق نيسان" يا غسّان... وداعا وداد قُمَري"، أو ما نقل عن غسان نفسه أن شخصية سعاد وقاد في "برقوق نيسان" مستوحى من شخصيتها، وقد كتب مثل هذا أيضا الكاتب فايز رشيد في كتابه "مناضلات كبيرات في الجبهة الشعبية... كما عرفتهنّ".

إن غسان كنفاني شأنه شأن أي كاتب عظيم ومثقف ثوري وشهيد سيظل يواصل حياته رغما عن هذا الموت المجازيّ، وعلينا نحن أن نعيد تكوينه فينا وفي استراتيجياتنا من جديد، فهو الحاضرُ الحاضر، كما تفترض هذه الاستعادة أيضاً أن نقرر حقيقةً، أستعير كلماتها مما قاله محمود درويش لأحد محاوريه قبل استشهاد غسان كنفاني بنحو شهرين (11/5/1972): "دم الضحية أو الشهيد هو دائماً أكثر شجاعة من لحم الأحياء، وبهذا المفهوم كل الأحياء جبناء وكذّابون". (اسمي العلني والسري، محبّ جميل، ص79)

إني لأجد من المناسب استحضار روح غسان المناضلة بعد خمسين عاما من اغتياله من خلال قصيدة الشاعر الفلسطيني **معين بسيسو "غزال صنين":**

استشهد الماء ولم يزل يقاتل الندى
استشهد الصوت ولم يزل يقاتل الصدى
وأنت بين الماء والندى
وأنت بين الصوت والصدى
فراشة تطير حتى آخر المدى.

الطريق المسدود وثمن الخطيئة..

رند علي الأسود/ بغداد

نال إحسان عبد القدوس حظاً يتمناه كل أدي؛ فقد كان يتمتع بغزارة الانتاج حيث كتبَ مايقارب 600 رواية وقصة قصيرة وقد تحولت 49 رواية إلى أفلام سينمائية ... وخمس روايات تم (مسرحتها) وستة مسلسلات إذاعية بخلاف المسلسلات التلفزيونية عن عشرة نصوص من ابداع إحسان، وبلغ عدد رواياته التي ترجمت إلى 56 رواية مابين الإنجليزية والفرنسية والألمانية والصينية والأوكرانية، وانتقد في رواياته التفكك الاجتماعي وجسد مظاهر الرذيلة، ومن اهم رواياته الاجتماعية هي رواية الطريق المسدود .

هل يستطيع الجميع ارتكاب الخطيئة؟

صور لنا صاحب الطريق المسدود في روايته الصراع الأزلي بين الرذيلة والفضيلة عن طريق بطلة الرواية (فايزة) التي تنشأ في جو عائلي مشبوه فبعد وفاة والدها تفتح الام وبناتها منزلهم للسلوكيات المحرمة ويحاولن جر فايزة الى هذا الطريق لكن فايزة ترفض وتظل تحلم بالحب العذري الذي يقود الى الزواج والبيت والأسرة .

كانت قوية في كل شيء .. قوية في عدم الانسياق للتيار الفاجر الذي انساقت إليه امها واختاها .. وقوية في مقاومتها للاغراء الذي يطوف بها .. إغراء الشباب والمال اللذين يفدان إلى بيتها كل مساء ..وقوية في استمرارها في الدراسة رغم كل الظروف التي تحيط بها .. وقوية في حرصها على ذكرى ابيها ، واحترام هذه الذكرى رغم السنين التي مضت على وفاته ..

"واصبحت تحس انها تحمل بأمها واختيها جرماً لاتستطيع ان تواجه به الناس .. وكان يخيل اليها ان الجيران كلهم يشيرون اليها كلما مرت بهم ويتهامسون عليها .. وان صديقاتها في المدرسة يتقولن عليها ويعلمن الكثير عما يجري في بيتها .. "

ظاهر الناس شيء وداخلهم شيء آخر، تبدأ الأقنعة بالسقوط الواحدة تلو الأخرى، يسقط من عين فايزة كل من اتخذتهم قدوة لها في حياتها مثل منير حلمي كاتبها المفضل الذي تدور جميع رواياته عن الحب الطاهر، لكنها تتفاجأ في احدى المرات بوجوده في منزلهم لتكتشف ان منير حلمي ازدواجي يكتب عن الحب النقي ولايفكر الا بشهواته .

كذلك استاذ اللغة الإنكليزية الذي تتخذه قدوة لها فتكتشف انه لايفكر الا بالعلاقات المحرمة .

"الرذيلة في كل مكان "

تتخرج فايزة من معهد المعلمات وتقرر ترك المدينة والسفر الى احدى المدن الريفية لتباشر وضيفتها هناك، فباعتقادها انها ستهرب من من مجتمع فاسد الى مجتمع ريفي بسيط نقي الا ان الرذيلة تواجهها هناك ايضاً بصورة صاحب الصيدلية وعمدة البلد اللذان يرغبان فيها وزميلتها سعدية المُنحلة (وعزيزة) الشاذة التي تحاول التحرش بها واحمد الطفل الصغير الذي يتعلق بها وتعامله كأم لكنه يضعها في ورطة امام الجميع .

كأن الجميع اتفق ضدها حتى (محمد) الشاب الذي احبها حباً شريفاً طاهراً تخلى عنها.

وهنا تقرر فايزة الاستسلام للخطيئة لكن السؤال هنا

هل هل يستطيع الجميع ارتكاب الخطيئة ؟ .

بالتاكيد لا ! لكي يرتكب احدنا الخطيئة يجب ان يكون مقتنعاً بها ، ان لايعتبرها خطيئه وهذه آخر كلمات الكاتب منير حلمي مع فايزة عندما تشكو له عن كل من قابلتهم في حياتها من بعده، وهنا يقول احسان " ان الخطيئة لاتولد معنا ، ولكن المجتمع يدفعنا إليها " ويترك لنا صاحب أنا حرة نهاية الرواية مفتوحة فهل تقع فايزة بالخطيئة مثل امها وشقيقتيها ام إنها تنضم الى موكب الحائرات .. !

تمت معالجة الرواية سينمائياً فتم تحويلها إلى فيلم مصري سينمائي أبيض وأسود سنة 1958 - تمثيل :فاتن حمامة، أحمد مظهر، شكري سرحان، فردوس محمد، زوزو ماضي، خيرية أحمد، وداد حمدي، وإخراج :صلاح أبو سيف.

لا تنضج الثمار إلا في تربة خصبة

وعد حسون نصر/سوريا

ثمارهم نضجت في المناخ المناسب، نعم، إنه الشباب السوري الذي كبّلته وقيدته الظروف، لكنه بمجرد أن وجد المناخ المناسب أثمر وبحلو المذاق، فمن الطبيعي أن يحبط شبابنا داخل سور الوطن وخاصة في سنوات الحرب الشرسة التي لم تنطفئ بعد، فكيف لهم أن يبدعوا والحرب أحرقت أخضر حياتهم مع يابسها، ولم يعد من مقومات النجاح إلاّ جهدهم الفكري والعضلي على نور شمعة بعد أن تغيّبت الكهرباء كلياً وأضحت في حكم الغائب، ولا ننسى الدمار الذي أحاط بالمنشآت وخاصة المدارس وما بقي صامداً منها في منطقة آمنة بات مقراً لآلاف الطلاب، فمع هذا الكم الهائل هل يستطيع المعلم توجيه رسالته بطريقة واضحة؟ وهل يتلقى الطلاب هذه الرسالة بشكل مفهوم؟ حتى المختبرات فقدت أدواتها وانحصرت التجربة على الكلام المحكي دون أن تخضع للمجهر أو حتى النار والتفاعل، الكثير من الحواسيب باتت منقرضة وغير نافعة وكأنها قطعة خردة في غرفة المدرسة أو حتى المعمل أو قاعة المحاضرة في الجامعة، لا ننسى الكم الهائل من المعلومات التي يتلقاها التلميذ في كل المراحل والتي لا يقوم بحفظها سوى للنجاح فقط ونيل علامة كاملة دون فهم، فبمجرد أن يخرج من قاعة الامتحان تصبح هذه المعلومات غائبة عن فكره تماماً، فكيف لهم أن يبدعوا وهم تحت كل هذه الضغوط، من حرب إلى وباء إلى فقدان مقومات الحياة من كهرباء وماء ووقود تدفئة ووقود للمواصلات، كيف لهم أن يبدعوا ونصف الكادر التدريسي هاجر خارج البلاد ونصف المدارس باتت ركاماً، وحتى الكتب تبخرت نسبة كبيرة من معلوماتها، لذا تراهم يزهرون لكن خارج سور حديقتنا، فالماء وفير والشمس دافئة حالمة وحتى النحل معطاء والعصفور شجي جميعهم يبشرونهم بالنجاح ويحفزونهم على العطاء، فإذا بالموسيقا أبدعوا لأنها أغنتهم عن معادلات الحساب، وإذا درسوا اللغة كانوا سفراء لأنها لم تشغلهم بتجارب الفيزياء، وهذا يعني أن أفكارهم لم تنشغل بحشو المعلومات. لذلك ترى السوري مبدعاً بكل مراحل عمره خارج البلد حتى نساؤنا كانوا مبدعات خارج قيود وطننا، فبتنا نرى المُسنّة تحصل على الشهادات العليا وتبدع في الإنجازات كما كانت تبدع داخل وطنها بالطبخ والحلويات مع اختلاف نوع الإبداع المحاط بالعناية والمقومات لنجاحه، وهذا يعود لأن الظروف ساعدته ليعطي كل ما لديه بشغف وتعطش للنجاح. ولأننا مازلنا ضمن وطننا نسعى لنشغل أفكار أبنائنا بكم المعلومات متجاهلين الرغبة، ونحن جميعاً نسعى لنجعل من أبنائنا أطباء ومهندسين ومحامين وأيضاً فنانين عازفين ورسامين ومغنين في آن واحد، نُحمّلهم ما ليس بوسعهم ونضاعف ضغوطهم فوق ضغوط الحياة وتردّي الخدمات، فإذا أردنا أن ننهض ببلدنا من جديد علينا أن نعطي الجيل حقه في الإبداع ضمن شروط ملائمة ومناخ مناسب، من كهرباء إلى مختبر إلى معلومات حتى الموسيقى لا تبخلوا بها فهي صفاء الروح لتزهر بالعطاء والنجاح...

المنعطف العصيب

كفاح الزهاوي/ السويد

كانت الغيوم المتناثرة في فسحة السماء، عاجزة عن حجب حضور الشمس وظهورها، وهي تصب بأشعتها البنفسجية على أجساد الكون العارية. والصخور القابعة منذ آلاف السنين في تلك البقعة النائية كانت تفرز من أجسادها مخزون الحر، مما جعله يبدو على مرمى البصر مثل ألسِنة نار بيضاء، أو أبخرة ماء مغلي وقد انبلجت، وتصاعدت رويدا رويدا، مكونة حزمة من هواء ساخن تتخلل عبر أخاديد الصخور، فتلسع بشرة الوجه، وتترك وراءها لمسات خشنة.

في ساعة من تلك الظهيرة، خيم السكون على سفوح الجبال ووديانها، ما عدا خرير الماء المتدفق من ينابيع الجبال على هيئة شلالات هادرة هيمن على الصمت، وانساب نحو الوادي باتجاه الصخور المشبعة بالماء من سحيق الزمان.

حان الوقت لينطلق مع الريح، شاب في الثلاثين من عمره، متوسط القامة، ذو شعر اسود كثيف، مشرق الوجه، متهلل الاسارير، وتحت انفه البارز ينبت على شَفته العليا شارب، قوي البنية، سريع الحركة تنسجم مع هيئة رياضي، وضع حقيبته الصغيرة على ظهره استعداداً للرحيل قاصدا هدفه عبر الطرق الجبلية الوعرة.

تحرك باتجاه المنحدرات المليئة بالنتوءات المدببة، البارزة من الصخور الصلدة، تاركا خلفه تلك الوديان، التي عاش فيها، وقضى جل شبابه في الدفاع عن القيم. واصل سيره تحت وهج الشمس المشرقة.

اجتاحه القلق مع مرور الزمن كلما اتسعت المسافة وابتعاده عن نقطة انطلاقه. مشى مسافة تزيد عن كيلومتر بشكل طبيعي، ثم فجأة ذاب مسالك الطريق، وانتهى به الأمر في موقف معقد، فالقى الصمت ظلاله عليه وهو يسلك منطقة مبهمة. الموقف يتطلب منه التبصر واتخاذ القرار الصحيح لإيجاد طريقة لعبور المسافة المتبقية في هذا الطريق المعقد الذي لا موطئ قدم له، وهذا الجهد المتزايد الذي سببه المشي على هذا المنوال يجعل الانسان مضطرب الأفكار. وبينما كان في غمرة التفكير، فَقَدَ التركيز ليفاجئ بقطع صخري الذي استوقفه، مما منعه من التقدم. استحوذ عليه الارتباك.

ظل واقفاً فوق صخرته واجما جامدا بغير حراك، كأن قدميه لصقت بالأرض. تشنجت عضلات حنجرته لبعض الوقت، بقيت الكلمات تتزاحم في جوف فمه، تتسابق وتصطدم ببعضها من أجل ان تخرج إلى الهواء، ما لبث ان جف حلقه. وبعد برهة انبسطت عضلات حنجرته، وعادت لصوته قوته وراح يستعيد هدوءه وتفاؤله وإصراره على مواصلة المشوار..

بدأ يحدث نفسه بألم يشوبه شيء من الندم:

- اي ريح لعينة قادتني في هذه الساعة الى هذا العبث المفاجئ، وأنا أشق طريقي في المنحدرات المعقدة للجبل.

ثم قال بعد ان أطلق زفيرا عميقا، كأنه يزيح عن كاهله هما ثقيلا يجثم على صدره:

- أي حظ بائس هذا؟ جعلني ان اكون وحيدا في هذا العالم، حيث أصبحت عاجزا عن التطلع للأمام.

فاضت من مقلتيه دموع اشعرته بالوحدة.. وأردف محدثا نفسه بعتب:

- ما هذا السكون الغامض الذي يجثم على النفوس، كأن الجميع صامتون وأموات.

شرع يجول برأسه يمينا ويسارا في وجل، كأن هناك مَنْ يناديه، وصدى لأجراس تقرع في هذا الخلاء مخترقاً جدار الصمت والسكون، حاول معرفة مصدر الصوت قبل ان يخفت ويتبدد.

وبينما كان يواصل السير بخطوات حثيثة في الطرق الوعرة بين الصخور القاسية، التي تفتقد لأية آثار من أقدام بشرية سابقة، مما تطلب التركيز وبذل المزيد من الجهد كي يتمكن من مواصلة المسير خطوة بعد أخرى تحت أشعة الشمس الحارقة التي كانت تبعث نيران حرارتها في ذلك اليوم اللاهب، فتتدفق معها قطرات عرق من ثقوب بشرته. لتزيد من لزوجة جسده المتعب وهواجسه الحائرة في تلك اللحظات الحرجة.

وفي لمحة بصر توالت في ذهنه أفكار وهواجس تختلط بين الافراح والأشجان، لتلطم مزاجه وتجعله متقلبا ومتردداً.. انعكس قلقه عبر الأحداق، وهو ينظر الى الوادي العميق، ليقرر في لحظة الاختيار.. لم يكن أمامه المزيد من الوقت وعليه ان يحسم موقفه في هذه الومضة من الزمن العصيب ليجد طريقاً للخلاص.

ـ الأشياء تذبل وتضمحل وتندثر. قالها بصوت خافت.

تناهى إلى سمعه، حفيف أوراق الأشجار المتفرقة على المنحدرات الجبلية، تحركت، بعد ان عصفت بها ريح ثقيلة في فسحة الوادي. اشرأب عنقه، وحرك نصف جسده العلوي للأمام حتى يمنح عينيه فرصة التمعن كي يتحقق من قدرته على اجتياز الامتحان، فهو يدرك جيداً مخاطر الرهان. عندما استقام بجسده وتراجع خطوة الى الوراء، غفل عن باله الحقيبة التي على ظهره، ارتطمت بالجدار الصخري للجبل فاختل توازنه، ومال بجسده إلى الأمام، وحاول جاهدا تحريك يديه ليحتفظ بتوازنه، كاد ان يحلق كطير مجروح الجناحين في فناء الوادي السحيق. استبد به الهلع، أراد ان يصرخ، لكنه احتفظ بقدرته على التوازن.

قال بصوت متهدج

- حتى لو صرخت بأعلى صوتي، من سيسمعني في هذا الخلاء الموحش.

وأضاف..

-لا أستطيع البقاء في هذا العراء طويلا، لن اسمح لهذا الوادي اللعين أن يلتهمني ويضع نهاية لحياتي..

ترامت إليه نقنقة قبج جبلي، اخترقت جدران الصمت، الأمر الذي جعله يكتم صرخة مؤلمة في نفسه. كان يخشى من ان يقبل الليل، ويبقى رابضاً في مكانه، وحيداً بلا حراك، يواجه الموت. اجتاحه الألم مثل تسونامي الذي يخلق الذعر ويسبب الدمار..

نظر الى الأشجار الصامتة التي تحملت غضب السماء وعواصف الطبيعة الهوجاء، إلا أنها نمت وقوت عودها بصبر وأناة، وهكذا الحال عندما تعلق الأمر بقراره، فما عليه سوى ان يكون كتلك الأشجار الصامتة ويستمد منها الصبر والقوة.

ففي تلك اللحظات تناثر شعاع من قلبه مثلما تتناثر ندف القطن في الهواء. ارتفع منسوب الضياء المبهج ليزيح الصمت ويمنحه العزم على اتخاذ القرار. ارتعشت الأشجار على قمة الجبل وفي السفوح لتسقط المزيد من الأوراق الميتة في الهواء. أَلَمَّ به احساس طفولي وهو ينظر الى الأوراق المتساقطة كما لو كانت دموع تتساقط من عيني امه في تلك اللحظات.

ما أصعب تلك الساعات العصيبة، عندما ينفصل الإنسان عن المجموعة الثائرة، ويلقى نفسه وحيدا في مواجهة تحديات وقسوة الطبيعة. لابد من وجود الارادة القوية، والنظر الى الأفق البعيد، ويرى اوتار الحياة، تصنع الحانا، وتعزف سمفونية الامل، كربيع بهي قادم تتراقص فيه الزهور والطيور. يتساقط الرذاذ، فينعش الأرض، ويتصاعد عبق رائحة أشجار الصنوبر، يزيل من وطأة احزاننا، وتزيح عنه همومه وتمنحه الرؤية والتركيز لينظر الى السماء والشمس المتوهجة، الزاهية. كي ينسى الكوابيس المزعجة، ويطوي الصفحات المرعبة، ويمسح صور الموت من ذاكرته المتعبة وكل المعوقات التي تعترض خطواته..

انها لحظة ولادة وتجلٍّ، وفي لمحة من البصر، ارتفعت القدم لتسقط متشبثة بالصخر.. الذي أصبح نقطة الخلاص والانتقال لمواصلة واستكمال بقية خطوات المسيرة.

لم تزل الرسالة في كتابي

فوز حمزة /بلغاريا

مد يده فتناول بها كوب الشاي الذي يتوسط المنضدة الدائرية أمامه ، موعد شرب الشاي كان مقدسًا لديه في حين يقترن مع موعد سيجاره الذي يصفه أنه أوفى من عشيقاته اللواتي لا يعرف لهن عددًا .. نفث دخان سيجاره ثم مال إلى كرسيه معتدلًا في مقعده فما لبث حتى حمل هاتفه وكعادته فتح حسابه الفيسبوكي مطلعًا على ما ورده من رسائل في بريده الخاص ومشاهدة المقاطع الموسيقية و الشخصية التي تصله من بعض صديقاته المقربات والتي جعلها بملف خاص تحت عنوان س ش .. وهو يعني بهذا سري وشخصي ..

لكن ما يغريه حقًا تلك الحكايات المرسلة إليه من نساء سردن فيها قصصهن ومشاكلهن وأوجاعهن ليخرج منها بمادة تنفع لكتابة القصص ..

كن مشدودات للغته الرائعة في تصوير إحساسهن بدقة وعمق عما يخجلن من البوح به في مجتمع يضيق الخناق عليهن ..وقد كان بارعًا في تقمص حالاتهن حتى لتشك إحداهن إنه امرأة !!

وبينما هو يهم بالخروج من الحساب وإذا بدخول رسالة من إحداهن .. لاحت منه نظرة للاسم الذي لم يكن مألوفاً لديه .. ترى من تكون إنعام هاشم هذه ؟ كان منشغلًا في أمر آخر فلم يرد على رسالتها والتي رفقتها بباقة ورد جميلة : سيدي .. وددت أن أشكرك لقبولك صداقتي .. فقد أعجبت بكتاباتك التي آسرتني وحملتني لعالم آخر .. قضيت ليلتي من مساء البارحة وأنا اتجول كسائحة في محطاتك العذبة ..

مضى يومان نسي فيها أمر تلك الشاعرة .. حتى جاءته رسالة أخرى في الساعة العاشرة مساءً ..

* أستاذي العزيز .. أنا آسفة .. يبدو أنك لا ترغب في محادثتي !

كتب لها بعد أن قرأ رسالتها بشيء من البرود :

- أهلاً بحضرتك سيدتي .. من قال ذلك؟!

- لقد أعجبت كثيرًا بقصيدتك الأخيرة .. ذكرت لحضرتك ذلك إلا أنك أهملتني فخشيت ازعاجك ثانية.

رد بالقول : من دواعي سروري .. وأعتذر لعدم الرد فإنني كثير المشاغل ..

فردت :

* سعيدة بمحادثتك وأشكرك أنك منحتني من وقتك.

* على الرحب والسعة شاعرتنا.

خرج بسرعة الضوء من المحادثة كمن حصل على إفراج من حكم بالإعدام !!

حتى جاء المساء .. فوردت رسالة منها كتبت فيها بعد ألقاء التحية:

* بودي أن أسألك .. هل قصصك من الواقع ..هل بطلاتك يعشن في مجتمعنا أم هن وهم من نسيج خيالك ؟ رد بسرعة هذه المرة :

* سؤالك غريب سيدتي ! وكأنك تعيشين في عالم غير عالمنا .. هن صور من الواقع .. يأكلن ويشربن بيننا .. سأجيبك بشكل آخر قد يبدو تقليديا لكنه الحقيقة .. بعض قصصي استلهمتها من الواقع وبعضها الآخر محض خيال وحسب ما تقتضيه الضرورة الأدبية .. فردت :

* أنتم الكتاب تعيشون في عالم لا يمت للواقع بصلة !

فقاطعها : أنتِ مخطئة سيدتي .. إنما نحن نصور الواقع ونكشفَ الستار عنه .. فردت : ربما خانني التعبير.. الذي أعنيه أنكم تنقلونا إلى عالم يمس شغاف القلب ويروي ظمأ الروح ..

ثم انتفض ليفتح نافذته العريضة، حين عاد وجدها قد كتبت :

* هل لي بسرد قصتي على حضرتك لتكتبها وتنشرها في صفحتك دون ذكر اسمي ؟

* سأفعل إن وجدت فيها مادة تستحق ..

* ستجد سيدي .. أنا واثقة من ذلك..

* تفضلي أحكي وسنرى.

* بدأت قصتي منذ ثلاثين عامًا حينما كنت طالبة في الثانوية ..

قال في نفسه : هذا يعني إنها الآن في النصف الثاني من العقد الخامس .. ثم واصل القراءة ..

وأنا في طريق عودتي إلى البيت لمحت شابًا وسيمًا كان ينظر إلي .. رأيته واقفًا عند زاوية ذلك الجسر الذي يفصل ما بين المدرسة والشارع العام .. انقطعت عن الكتابة لوقت أشعره بالملل والضجر .. فكتب:

* أنا معك ..

فاستأنفت : في البداية ظننته ينظر لفتاة أخرى .. فلم أعر للأمر أهمية وإن كان شيء ما بي يود أن يكون يعنيني بنظراته تلك .. تكرار المشهد عدة أيام متتالية قادني للتفكير به .. صرت انتظر رؤيته .. أعيش لحظات غريبة علي .. لكنها تدغدغ أنوثتي وتهبني الشعور بالسعادة .. وفي ذات يوم .. بينما كنت أمشي لأقطع تلك الساحة وصولًا للجسر شعرت بخطى خفيفة من خلفي .. لم أشأ الالتفات .. شيء ما في داخلي أخبرني أنه هو .. وفجأه وفي واحدة من أروع لحظات عمري شعرت بيده فوق تلك الكتب التي كنت أحملها وإذا بظرف أزرق أنيق يعتلي كتبي .. ثم مضى مسرعًا واختفى تمامًا .

كتب بعد توقفها عن الكتابة : أكملي .. ما الذي حدث بعدها ؟

ردت : نعم أنا معك .. لكن تنهيدة موجعة قبضت قلبي .. لقد تركني في حيرة ولوعة .. وفي يدي تلك الرسالة .. فتحتها في خوف وفرح وأنا ارتعد كمن أصيبت بنزلة برد .. وجدت داخلها وردة حمراء صغيرة .. في الليل قرأتها لعشرات المرات .. وفي كل مرة أشعر كأني أميرة فوق غيمة بيضاء تحملني لجزيرة الأحلام ..

نمت ليلتي والحلم يداعب أجفاني في لقياه في الغد .. أخبرني أنني سأجده في نفس المكان .. ترى ماذا سأقول له ؟ كيف استقبله ؟ ربما أضع قليلًا من أحمر الشفاه .. أواه ستقتلني أمي ولا شك .. لا ضير من ذلك فأنا ذاهبة للقائه تحت شريعة الحب .. الحب؟! هل تراني أحببته ؟ إذن ماذا يمكن تسمية ما أنا فيه الآن ؟ سيشرق علي يوم جديد .. لطالما انتظرته وحلمت به .. عجيب أمر هذا الحب .. فحين يمر بنا يلون أوقاتنا ويجعل من خريف المشاعر ربيعًا ..

كتب لها : طريقتك في التعبير عن نفسك رائعة جدًا .. أكملي صديقتي حتى النهاية دون توقف ..

فعادت لتكتب : كنت ساهمة في الساعات الأولى من دوامي ذلك النهار .. يبدو علي القلق والشرود .. ومع نهاية الدوام الذي طال كثيرًا شعرت أنني الآن غديت أتنفس .. أخبرت أمي أنني سأتأخر بعض الوقت لذهابي مع صديقتي للمكتبة العامة .. تلك كانت كذبتي الأولى .. وقفت في الفناء الأمامي لمدرستي أنظر نحو ذلك المكان الذي كنت أراه فيه كل يوم .. مرت زهاء النصف ساعة ولم يأتِ ؟! ربما حدث له مكروه ! لا يمكن لكلماته تلك في رسالته الزرقاء أن تذهب أدراج الرياح ؟!

اليأس تمكن مني .. ألتفت عدة مرات علني ألمحه قادمًا .. تخيلت صوته يرن في مناداتي .. بقي الحلم يلوح لي بلقياه في اليوم التالي .. تمنيت ليلتها ألا يأتي الصباح لأظل عالقة بخيوط الأمل .. ثم جاء اليوم الآخر ولم يكن مختلفًا عما سبقه ! وتوالت الأيام تلو الأيام وسيد الرسالة لم أره ولم التقيه وبقيت محتفظة برسالته تلك .. أقراها كل ليلة لأكثر من مرة .. مؤكد أن شيئًا ما حدث له ..

مرت لحظات صمت .. شعر أنها تبكي .. انتظر لحظات حتى كتب :

* ينبغي علينا أخذ فاصل .. ذلك لا لأجلك فحسب بل ولأجلي.

واتفقا على إكمال القصة في المساء ..

في وقت مبكر من تلك الليلة كتبت له:

* أحيانًا أفكر أن ما حدث كان وهمًا أو محض خيال .. لقد تخرجت وتزوجت وصرت أمًا وصارت لي حياة أخرى .. لكن ذكراه بقيت عالقةً في خيالي وصورته ملتصقة جنب فؤادي .. منذ ذلك الحين صار الحزن رفيقي .. أعلم أنها قصة غريبة .. صدقني سيدي هذا ما حدث حقًا ..

*نعم .. ربما عند كتابتي لها كقصة سيكون هناك بعض التغييرات لما يخدم النص في الحبكة والبناء الدرامي .. كتب لها هذه الكلمات .. ثم استأذنها لدقائق معدودات .. وهو يعد له فنجان قهوة .. لمعت عيناه وابتسم كمن عثر على شيء ثمين .. حين عاد .. كتب لها :

*لو شاءت الأقدار والتقيتِ بهذا الشخص .. فهل بمقدورك معرفته؟

أجابت : لا أظن يا صديقي .. ثلاثون عامًا مضت .. من المؤكد قد غير الزمن ملامحه ..

رد في الحال : هل لكِ أن تتخيلي إنك معه الآن!

ردت بذهول : أوحقًا ما تقول ؟

كتب : نعم أنني أعني ما أقول ..

بيد مرتعشة كتبت : دعني أتأكد من أنني لست في حلم ! أنا الآن مع صاحب تلك الرسالة !!

فكتب بحروف متقطعة :أ ن ا ه و !

أجل أنا من كتب الرسالة وأنا من وضعها فوق رزمة كتبك التي كنتِ تحملينها .. وكنت حقًا سألتقيكِ في اليوم التالي إلا أن أمرًا حدث لي حال دون لقيانا لا يمكنني سرده الآن.. وحينما عدت بعد أشهر كانت قد حلت العطلة الصيفية فانقضى كل شيء ..

فكتبت وهي تبكي: يا لسخرية القدر .. أهو حقًا أنت ؟ لو أني رأيت ذلك في فيلم لا أصدقه !

ساد الصمت بينهما .. في حين كانت تقول مع نفسها : هل سأضيعك لمرة ثانية؟ وفي حين مقابل قال مع نفسه: امرأة مخبولة .. لكنها قصة جميلـــة ..

العراقية الاسترالية

زمن الضباب

نرجس عمران/سوريا

لستُ على موعدٍ مع الأملِ
ومَرارُ ترياقي يخبرُني
أنَّ طعمَ العمرِ آيلٌ إلى حسرةٍ
وليس له من خيارٍ آخرَ

لذلك سطّرتُ يقينيَ هذا
في رفوفِ أفكاري
وتأهّبتُ كي أفاجئَ المفاجأةَ
ومزّقتُ أثوابَ الخيبةِ
لا شيءَ بعد اليومِ
سيغتالُ دهشتي
ولن يثيرَ شهيّةَ أسفي
أيُّ خذلانٍ
وأمّا عن الدّموعِ
فلقد نبشتُها من قعرِ الجفونِ
وجمعتُها جميعًا
في طوقِ وداعٍ
زيّنتُ به عنقَ الذّكرياتِ

وعلى هامشِ قلبي
كتبتُ
(توقّفْ هنا)
فالعواطفُ
خرجتْ ولن تعودَ
والقلبُ في إجازةٍ
ممهورةٍ بختمِ
(عاطلٌ عن الخفْقِ)
في زمنِ الضّبابِ
حيث اللّاوفاءُ
أقربُ من أيِّ سرابِ
و الإنسانيّةُ في أوجِ انعتاقِها
حتّى عن محاسنِ الأسودِ والكلابِ والحميرِ
و شيمةِ العصرِ
توأمةِ الحرباءِ
والبعوضِ
في اقتباسِ النّورِ

ليس عليَّ حرجٌ
من مقاصدي
وعليكَ مغبّةُ ماتفهمُ
فمرِّنْ مفاصلَ الرّفضِ
لديكِ بزيتِ الانفتاحِ
وهذّبْ أذنيكَ
بآدابِ الإصغاءِ

مهما أبدتْ لكَ الرّؤيةُ من سوادٍ
لا تكن سوداويَّ الرّؤيةِ
هجينَ المبدأِ
كي لاتوطِّرَ عقلكَ في
آلةٍ حاسبةٍ
تضربُ عليها الكلماتِ
وتجمعُ الجُمَلَ
وتفرّقُ العباراتِ
فتقسمُ المعانيَ
وتكسرُ ظَهرَ النّوايا
فتحملُ أصفارَ بأسِكَ
تربيعًا وتكعيبًا
وتميتُ قلبكَ
حيًّا في روحٍ جدباءَ

فهيّا نحضرُ البياضَ
من عقرِ دارِه
ونخضّرُ صحراءَ النّفسِ
بواحةٍ من جميلِ أفكارِهِ
ونبدأُ رحلةَ السّلامِ
بخطوةِ الابتسامِ
على نهجِ أخبارِهِ

سأصارحكم

علاء الأديب/
تركيا ..سامسون

سأصارحكم
وعلى الله..
أجر الخاسر عمرا في حب امرأة
سقطت
منذ سقوط المعنى الأعظم
من تأريخ الوطن الطامس في الظلمات.
سأصارحكم
وسأطلب مني مغفرة
وسأطلب منكم معذرة
فأنا الجاني
وانا الشانق والمشنوق
وانأ الفاني
كفرا فيها..
روح الخالق والمخلوق
سأصارحكم
لا اطلب منكم مغفرة
فأنا الخانق والمخنوق
وأنا المطفيء وهج المعنى في الكلمات
سأصارحكم
إني رجل صدق افعى
هل من رجل صدق افعى
وبقى يحفظ ماء الوجه
وبقى يرفع رأس الزهو
وبقى يمشي بين الناس
يسعى زهوا في الطرقات
سأصارحكم
آني أشعر منذ ولادة حبي الاخرق
ابدلت الجهبذ بالأحمق
وغبي يحسب إن يغرق
كف امراة يغدو زورق.
سأصارحكم
إني رجل يحمل إثما
اكبر من اثم الشيطان
يدفع أثمان الأثمان
رجل
لا يمكن ان يغدو
غير الانسان الانسان
في زمن الخسة والبهتان

سأصارحكم
ندما أأكل ندما أشرب
ندما أقضي الوقت وأمضي
عمري الباقي بالخذلان
ذاك لأني
رجل اخلص حبا
هل من رجل أخلص يوما
يكسب رضوان الشيطان
سأصاركم
إني كنت غبيا لما
كانت تلعب دور الله على الإنسان
دور الرحمة دور الرأفة والغفران
لم ادرك يوما شيطانا
يلبس جلد الله علينا
ليمارس فن الطغيان
سأصارحكم
الرجل الطيب في قلبي
باع الذمة والوجدان
وغدا من حزب الشيطان
هذي الدنيا ما عادت دنيا الانسان.

لا أَحَدَ يَخْرجُ حيًّا...

نسرين صايغ
استراليا- مالبورن

لا أَحَدَ يَخْرجُ حيًّا! قال :
في زنزانة الوقت مترٌ واحدٌ أو اثنانِ كافِيَانِ لموتي المعجّل!!
وانشطر الذهول لهول تَكَهُّنِهِ.....نصفان!
قالَتْ أمّا أنا فقد عتَّقتُ روحي بِدَن الحب
أسدل ليلي الموشّى خلف أدْبِرَةِ الوقارِ لأَهمِس قُمْ !
فُكَّ أجفان الجسدِ إنه النهار!
وأَجُنُّ
أوَسوِسُ
أهيمُ فأُسخِّر الوقت لي وأُطَوّعهُ!
فليس أَدْهى من شاعرة تسكب الضوء في كفيها فيَنْقلب الموت حياة.
قال : من أنتِ!؟
مَن تكونين!؟
ثمّة شيء لديكِ يُثير عرين مخيّلتي!
أَجِيبيني !
وغابَ في سكرة الذكرى الشريدة غاب ..!!
لدهرٍ إلّا قليلًا ...!
فتَبَسَّمَتْ ك عفراء متشبِّثة بِسِرْبِها وشَرَعَتْ بجرأة الفصول
والمطر في عينيها لؤلؤتين فُسْتُقِيَّتين كلٌّ على حِدَةٍ!
وتَمْتَمَتْ أوَلسْتَ تَذْكُرُني !
اقرأني بقوةٍ وأنظرْني مليًا..... ولا تتعجّل !
فقد يُعَشِّشُ الحَمَام أسرابا فوق سحابتَيّ
وقد تنقشع مراياك في محَيَّايْ عِشقا سَوِيًّا !.....
وقد يغنّي نايَ الشتَوِي أغنية الوداع فنغرق بلحنه الباكي.....
فلا تتعجل !....
ورَقَصَتْ نارٌ فوق غمازتيها!!
رقصة البجع الأخيرة وهلك الضباب في تبغ السؤال وزفير الغواية....
من أنتِ! من أنتِ!
فتكسّر الصمت قشعريرةً وصاحَ!
أنا قارئة فنجانك المشعور ، عذراؤكَ منذ الرَّعيلِ الأولِ....
أتَذْكُر؟ كيف رمَّمْتُ شتاتك بوريدي يومئذٍ!
وزَرَعْت خافِقَيّ في انشطاراتك!
أَتَذْكُر....
يومَ تنبّأتُ لك بموتك المُحتَّم فوق نسيجٍ من ولَهٍ وحرير
وأفْضَيتُ إليك صلواتي !
أولَمْ تَمُتْ بعد....!؟
أفَأنْت الشبح القرين..؟
وأنا أنا لا زِلتُ
منذ انْهَمَرْتُ من سمائك السابعة
أنشودة مطر ، وفرَرْتَ كعصفورِ الشوكِ أحِيكُ أَشعارًا كالقيامة.... أتَذكُرُ!
يومها أسمَيْتني العذاب ولسْتُ إلّا نَفْسي....
رحماك ربي! لا مقال لي بعدُ وزاد! .....
إبيضت حروفي وبرقت قوافيها عند مجاراتي لسحبكِ المخلّدة،
ما الوشم الدُّرّيّ ما السِحر في البيان...
أسدلي خمارك الوردي ليتقطر الضياء على شموع الحنين...
وان متُّ بعدها فلا تلوميننني.....
لا تلوميني....
لا تلوميني....
ولومي الذاكرة.
لومي الذاكرة.....

الحياة : طُرَّهْ ..كِتبَهْ

سعد جاسم/كندا

العالمُ الأَحمق
والحروبُ العبثية
الكوابيسُ السودُ
والمنفى الخادعُ
وأَنتِ ياإبنةَ الكلب ،
ياحبيبتي ...
قدْ جَعلتُم حياتي
"*ملكْ وكتابة"
وأُمي كانتْ دائماً تصيح :
اووووف ياربي ... واللهِ صِرْنا "
"*طُرّهْ كِتْبَهْ"
والمنافي حوّلَتْنا
الى " حَيّه ودَرَج "
وأمريكا الماكرةُ
قَدْ جَعَلَتْنا مثلَ
"***توم وجيري"

والطواويسُ والذئابُ
والجنرالاتُ والعاهراتُ
والطغاةُ والقَتَلةُ
الخنازيرُ واللصوصُ
ومُشْعلو الفتنِ والحرائقِ
وملوكُ المكائدِ والطوائفِ
جعلوا حياتَنا
أحلامَ كارتون
بالاسودِ والأبيضِ
والرمادي والغامضِ
والمفخخِ والدامي
وبطعمِ الكوابيسِ أيضاً
***
ياآآآآآآآآآآآآآهْ ياحياتنا
ماأقساكِ
وماأغباكِ
وما أبشعَ وجهكِ
وأنتِ ترتدينَ أقنعةَ الفتنةِ
والخديعةِ
والغوايةِ
والوشايةِ
والقسوةِ
واللعنةِ
والموتِ الوشيكْ
---------.....----------
اشارات :
"طرّه كتْبَهْ " و " ملك وكتابة " *
تعنيان وجهي العملة المعدنية ، ولهما تسميات أُخرى مثل
الـ " تُرّهْ ونقش "وهي اللعبة المعروفة التي كنا نلعبها نحن ومعظم الاطفال العرب في سنوات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات .
حيّة ودرج :لعبة طفولية معروفة في العالم كله . **
توم وجيري :هو المسلسل الكارتوني الشهير .***

بَرقِيّات جنوبيّة

ميثاق كريم
الركابي

في رفٍ منسي أضع أسمال الخصام
لكَ وحدك ارقصُ على ليل الغرام
أحنط كلمات العتاب لأقول لك:
أحبك أيها الفرح الذي ينتشر بدمي
كل عام أنتَ منارة أفكاري وانفاس حروفي
كل عامٍ والقصيدة ممتلئة بوجهكَ .
لك وحدَكَ أتنازل عن كبريائي والتقيك في زقاق الشعر.
انفي كل الفواصل لأكون كالسيل لأُغرق آخر صفحاتك .
أيها الوسيم..على صمتكَ ترفرف مئات الكلمات الساخنة.
هذا المساء سألغي اسمك وأسمّيكَ قمرا
فلا أجمل من امرأة تمتهن الكتابة وتغازلك علنا
ألقي القبض على إشتياقك العطش بقبلةٍ أصافح
بها كل معجباتك
أعانقك و اوزع الفرح على كل المدن التي أكلتها الحروب.
أنهي نحيب الشعوب ومظالمهم.
أحول الأحزاب الإسلامية إلى مومياءات يتفرج عليها الغد بضحكة شماتة.
فمنذ أن أحببتك وأنا أريد أن أغير مصير الأوطان
ومنذ أن أحببتك أرغب في إقتلاع حسرات الأيتام
ومنذ أن أحببتك صار وجهك هوية الأيام
يكفيني من الوصل هذه الرسائل التي لها رائحة البحر في الشتاء .
انا لست شهرزاد لأهديك قصص تمتهن الخداع تُجمل لك الحياة باسم الحبّ
والحبّ محض وهم بذاكرة خمار .
ولستَ انت شهريار لتصدق فقاعات الحكايات.
انا فقط انتمي لروحك وما بيننا
بركان و نجمة وحفنة فراشات.
يا لحظتي التي تهديني قارة من الشغف
انت رجلي الذي اختصر كل عصور الرجال.
انت حلمي و قصيدتي وإن شحّت الكلمات .
وبرقياتي بالونات ملونة أفلتها بعيد ميلادكَ
ليقراها كل العشاق وتلتصق بقلوبهم.
فلا أجمل من امرأة تكتب إليك نصوصا
تزركش وقتك بالبهجة
امرأة تهبها ذراعيك لتعلمها التحليق
امرأة أن غاب الوطن صارت لك أوطان
امرأة تدفعك للسعادة وتعدك الا تسقط الا بين شفتيها
لك وحدك هذا الهيام
لأنك الرجل الذي يضيف اللمعان لأنوثتي
لأنك العين التي تسكن مرآتي
لأنك الغيمة التي تسافر بي لأقصى جنوب العشق
كل عام وانا المشتاقة الى أنفاسك
وكل عام وأنا كل نسائك.

شَوْقٌ وَأَلَمٌ

اسماعيل خوشناو

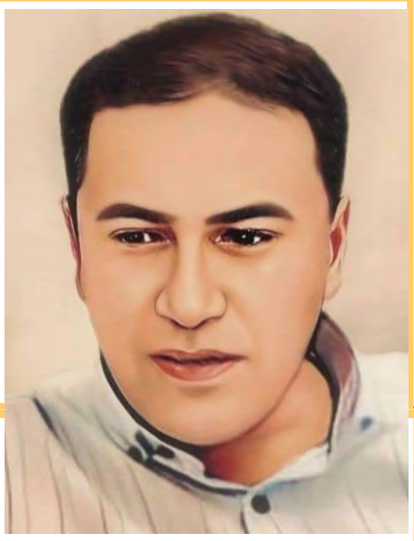

كَمْ رانَ قَلْبي لِشَوْقٍ غابَ في زَمَنٍ
ما بَتُّ أَهْوَى غَدي قَدْ حَلَّ بي عَتَمُ

هَلْ لي بِلَوْحٍ إِذا أَصْبَحْتُ مُنْعَزِلاً
تَشْفي جِراحي وَلَوْ أَقْصَى بِها أَلَمُ

يا قِصَّةً عِشْتُها ما زِلْتُ في وَطَني
أَبْكي لَها بِاشْتياقٍ شاهِدي قَلَمُ

شَمْسٌ أَتَتْهي بِدُونِ الْأَرْضِ رِحْلَتَها
قَيْسٌ بِبُعْدٍ لِلَيْلَى في غَيابٍ عَدَمُ

ما زِلْتُ في كَدَرٍ غُلٌّ يُعاتِبُني
عُمْرٌ غَدَا وَانْتَهَى ما صاحَ لي عَلَمُ

قَدْ تَاهَ شِعْرِي فَمَا يَحْيَا غَداً نَظَري
ما عادَ لي غَزَلٌ يُشْفَى لنا سَقَمُ

يا لَيْلُ هَوِّنْ عَلَيَّ الْعَجْزَ في كُرَبي
هَبْ لي بِنَوْمٍ تُرَى في عَالَمي نَغَمُ

أَيَّامُ سَعْدٍ وَقَدْ ذابَتْ لها مُقَلي
هَلْ لي بِوَعْدٍ يُراعي عَمَّني عُقَمُ

ما دارَ حَظٌّ لِيَوْمٍ غِبْتُ عَنْ بَدَني
قَدْ مَسَّني كِبَرٌ ما زارَني حَشَمُ

أَبْقَى على بَسْمَتي يَحْلُو بِها أَمَلي
ما عُدْتُ مُنْتَظِراً قَدْ فَاتَني نِعَمُ

****

05/07/2022

أيُّها الملأ / سرد تعبيري

سامية خليفة
لبنان

مَنْ منّا لم يزرْهُ كابوسٌ أحمقُ فباتَ ضيفَهُ الثّقيلَ الذي لا يبرحُ مرقدَهُ؟ ها هوذا أمامي يجدلُ ضفائرَهُ السّوداءَ يبتلعُني ضبابُه الكثيفُ لأسقطَ في لججِهِ السَّحيقةِ.
كابوسٌ بين حناياهُ المنافذُ عقيمةٌ، أنتم أيها الرّاقدون على مضاجعِكم الشائكةِ كواقعِكُم، اللاوثيرةِ كأيّامكُم ألم يقُدْكم الكابوسُ لتسلكوا مثلي أحدَ المنافذِ التي ستقودُ بكم حتما نحو الهاوية؟
كابوسٌ رهيبٌ متكرّرٌ يكتنفُ الرّوحَ وأنا أتقافزُ فيه كريشةٍ هوجاءَ في مهبِّ الرّيح، يسيِّرني انكسارُ وهشاشةُ كيانٍ في انزلاقاتٍ عمياءَ بلا قدمين، السُّقوطُ معه يتوالى في لاجاذبيةٍ رعناءَ حيث اللّاركونُ إلى نقطةٍ ثابتةٍ، الكابوسُ المسنُّ الأدردُ الطّاعنُ مثلي، لكنني أنا الطّاعنةُ في البؤسِ، إنّما هو فالطاعنُ في ابتلائي بالبؤسِ، كم قضمَ في ريعانِ صباه أحلاميَ الورديةَ وأيضا أحلامكم ! .هو الآن بكل وقاحةٍ يبتلعُ ابتساماتي ليحيلَها إلى ابتساماتٍ صفراءَ بلا هويّةٍ وأيضا ابتساماتكم . لا تسلني أيُّها الملأُ كيف تحولتْ أحلامي إلى كوابيسَ بل اسأل ذاتَكَ أوّلًا فأنا أدركُ أننا كلُّنا أمسيْنا رهائنَ لها إلا من تسبّبوا لنا بها، فيا أيها الملأ كيفَ سنصنعُ أحلامَنا الزاهيةَ من جديدٍ وهي خجلى اعتادتْ على الاختباءِ تحتَ وسائدِنا المضمَّخةِ بكحلِ الأماني، المبتلَّةِ بالدَّمعِ الحارقِ ؟! أما من نهوضٍ أما من يقظةٍ حقة أما من خلاص ؟؟؟

انتظار..

د.نصر عبد القادر/ مصر

مازلْتُ فوقَ شاطئِ الوجود أنتَظِرْ ..
وجهاً لهُ براءةُ القَمَرْ
يضيءُ ليلَ خيْمَتي التي ..
تُعانِقُ الضَّجَرْ
تفْتَرُّ عنهُ حُلْكَةُ الغُيومْ
وينثُرُ الأريجَ في حدائقِ السهَرْ
يهلُّ بالندَى..بشوقٍ نَسمَةٍ..
ترِفُّ فوقَ زُرقَةِ النَّهَرْ
بنَكْهَةِ الصباحِ في الحقولْ
بضِحكَةِ الأطفَالِ للمَطَرْ..
***
عادتْ قواربُ المساءْ
وأجهشَ الغمامُ بالمطَرْ
والصائدونَ المتعبونَ يُسرعونَ للديارْ
ويحلمونَ بالحَساءِ والنساءِ والسَّمَرْ
وأقبلَتْ قوافِلُ الطيورِ مِنْ ..
أصقاعِها البعيدةِ السفَرْ
وألفُ طائرٍ..يسابقُ الظلامَ قد عبَرْ
لاشيْءَ غيرُ الموجِ والرياحِ والمطَرْ
تلوحُ أنجُمٌ.. وتنكَدِرْ
ويغرَقُ الشعاعُ في بُحَيْرةِ الغمامِ..
ينطَفِي القمَرْ
ولمْ أزَلْ .. بشاطئِ الوجودِ أنتَظِرْ
أمُدُّ للمدَى البصَرْ
وأنتَظِرْ ..
وأنتَظِرْ ..

كيف أعرف؟

سامح أدوار سعدالله
مصر

حدودٌ أنا لا أعرف حدودي
فكل الكون حدودٌ
لا أعرف فيه يمينًا أو يسارًا
أخطو فيه مثل الأعمى
فأنا لا أدرك للخطوط معني
على سبورات الحياة قد رسمنا
خرائط صماء لا تبعث حيًّا
شعرت في هذه الحيوات غربة
و أنا قد سبحت فيهم دون رغبة
فقد قالوا لي: سوف تجد هناك المغزى
إلى أين أذهب ؟ و أنا أجهل كل الطرقاتِ
التي أصل فيها, إلى تلك الحياة
التي يقال عنها : أو يسكنها ذلك
الوطن وطني ؛
يا حدودي يا زماني يا مكاني
لا تسخروا و أن أخبرتكم
أن ليس لهذا السر وجود
رغم بكل ما يجود
على خطوط الطول
أو دوائر العرض المعهود
المرسوم على وجه الارض
المقصود
حلمي ليس بخيال
يقصده الشعراء و الزجال
خبرة في الحياة تقول :
أن الحق في الحبر المسكوب
على الورق الأبيض
عكر صفاء الصفحة
هذا الحق هو اللون
المدهون على تلك اللوحات
أنظروا كيف شوه جمال الصورة ؟
بمعاني و كلمات كثيرة
قصيرة أو طويلة
قريبة أو بعيدة
تعجز أن تعرف معنى
الحياة التي تسكن داخل
صورة الحق ؛....
العنيد في الأفعال
الباقي مدى الأيام
الخالد في التاريخ
ذاك الذي كان يجري
يجر السواقي
فيروى ظماء الأزمان
يهز الريح فيرمي
الاسرار يفضح الأكوان
يزلزل الاحجار فتصعد
حجر تلو الأخر تبني جبلًا او تلًا
وكل هذا , و لم يجدي نفعًا !
أسير إلى الصورة
حتى أصبح أسير الصورة
فهل أن أنفش في نفس الصورة ؟
فهي قصةٌ ؛ بدون عنوان .....
أو لم تكن القصةُ تحتاج إلى بطلًا
يجوب بين الأرض و السماء
يحلق بين الأركان
غير مقيد بالأزمان
في الحقيقية تجد الخيال
وفي الخيال تزدهر الأوهام
و من الأوهام تولد الأحلام
و في الأحلام تتمخض الحقيقية
و الحقيقية لها وجهان
مطلقة أو نسبية
من يدركها بدون إيمان ؟
من جديد تدور بنا الطواحين
تطحن أمانينا و أحلامنا
في تروسها العظيمة
في تلك الحيوات الغريبة
تلك التي أخبرتكم به
أن أعيش فيه الغربة
رغم جمال و سحر تلك
الغربة ؛
سوف يأتي يومًا
فلأبد و أن .....
تنتهي تلك الغربة ....

تزاوج الأوطان

غادة حسن يوسف المقابلة/ الأردن

حُكي ذات يوم عن نمله سوداء غريبة الديار. وهي تسير علقة في بقعه من الوحل، ولم تقدر على الخروج منها فصاحت، صاحت كثيرًا طلباً للنجده؛ فإذا بنمله بيضاء تسير في نفس المكان سمعت صوتها وهرعت مسرعه بإتجاه صوت النملة؛ أسرعت النمله البيضاء وأحضرت قطعة قش ألقتها لتعلق بها النمله السوداء، وإذا بها خرجت وهي تلتقط أنفاسها من الخوف والتعب، لكن سارت مع النمله البيضاء إلى وطَنِها؛ وهو وادي في غاية الجمال فعند وصولها الوادي كانت تتلفت حولها مندهشه من جماله؛ ماء،أزهار، أشجار، سماء صافيه جميله، فأُعجبت به ومكثت فترة من الزمن في ذلك الوادي لتتعافى من مصابها.أثناء وجودها بدأت تتعرف وتشاهد نظام الوادي وحياة الرفاهية التي يعيشها النمل الأبيض .فكانت منبهره بذلك المكان وتغبطهم على عيشهم بأمان ورخاء، بعد أن تعافت قررت العوده الى ديارها. فاسئذنت النمل الأبيض قائله لهم حان وقت المغادرة سأعود إلى وطني الأصلي. وهو تلك المنطقه الصحراويه؛ التي لا ماء فيها ونباتها أُبَري الشكل والجو حار لا يطاق. عند وصولها اسرعت إلى قائدهم الأسود وهي تقول له وجدت الوطن البديل الذي سوف نعيش فيه جميعاً بأمان. وصفت المكان ولم يهدأ قائدهم حتى قال هيا اسرعوا لنسيطر على ذلك الوادي، نعم اسرع النمل الاسود بهجوم خاطف إلى ذلك الوادي وبشكل مباغت دخلوا الوادي على حين غفله أستطاعوا قتل عدد كبير من النمل الأبيض والسيطرة على النصف الآخر من الوادي. ثم استمرت الحرب كر وفر بين الطرفين دون الوصول إلى حل قطعي أو قدرة النمل الأبيض بطرد هذا العدو المباغت. لجأ الطرفين إلى قادة الحشرات لكن دون جدوى اقترح عليهم حكيم الزمان حل لإنهاء العداوة بينهما. وهو إقامة السلام بينهم دون اعتداء أحدهم على الآخر واعتبار النمل الاسود هو الشريك الأبدي للنمل الأبيض في ذلك الوادي وان يوقع الطرفين وثيقة تسمى- تزاوج الاوطان- بأن يكون الوادي وطن مزدوج لكلا الطرفين بحيث يتعاون الطرفين في الدفاع عن الوطن، والمشاركة في بناء الحياه الاقتصاديه والاجتماعيه معاً بحيث يتزوج النمل الاسود والنمل الأبيض وينتج في المستقبل جيل جديد محايد يسمى (اللون الرمادي) وبذلك تختفي كل الخلافات. وينتصر مبدأ تزاوج الاوطان. ليعيش الجميع بأمان وسلام دائم وشامل لجميع الأطراف، ويصبح الشعبين شعب واحد ينعم بالحرية والديمقراطية.

طريق النمل..

عـادل عطيـة
مصر

عيونهم بلا حدقات كتماثيل رومانية
لا تراك إلا ضئيلاً
تحت المجهر
وصفراً
إلى يسار النمل في مساراتها العددية
هل قرأت أفكارهم حين صعدت
على جدار الصمت
لتعانق ذاتك المنسيّة
قالوا حين انتفضت
وأرتفعت
ما أنت سوى بخار
يظهر قليلاً ثم يندثر
وفي الفناء البعيد ينحشر
******
أراك وأنت في طريق الخبز والسكر
تدوسك الأقدام
فأنت في عيونهم البربرية
تراب، فوق التراب
يفنيه العذاب
فهلا اقتحمت عليهم ذاتهم الردية
ونزعت عنهم
هالة الظلام الهمجية
ووجدت بذورك المدفونة في التراب
في شتاء العمر ناهضة أبيّة
تذكّر ولا تنسى أبداً
أنك سيد السعي الدءوب
رغم الخطوب والمُنْكَر
في طريق الخبز والسكر

Al-Iraqia Australian newspaper

Issued from Sydney and distributed all the world

Established 05 Oct 2005 Sydney

العراقيّة الأستراليّة

جريدة ثقافيَّة فنيَّة مستقلَّة

تأسَّسَتْ في 05 إكتوبر 2005 سيدني

Dr.Muwafaq Sawa

Editor in Chief

رئيس التحرير : د. موفق ساوا // نائب الرئيس : هيفاء متي

تصدر يوم الأربعاء في سيدني، وتوزع إلى جميع أنحاء العالم

بريشة رسام "العراقية الاسترالية" الفنان عبد الفتاح حمودي/ سيدني

بريشة رسام "العراقية الاسترالية" الفنان طالب الطائي/ العراق